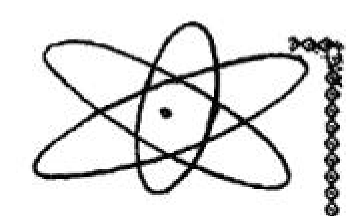


أعظم قصة تحفظ على مر القرون

الذرة وثلاثة رجال

بقلم الدكتور احمد زكى

من القصص الخيالى ، ما تقراه فيعطيك لذة ، وقد يعطيك نفعا وقد يعطيك حكمة . وقد يروى لك شيئا هو بعضك ، فلا تلبث ان تتقمص انت القصة فتكون بعضها ، وتكون بطلها او احدا من ممثليها . وتستمتع بهذه المطابقة ، غير الواعية ، اكبر استمتاع

وان من القصص التاريخى ، قصة لنابليون أو بسمارك ، او طارق بن زياد ، او مؤدب عظيم مثل كنفوشيوس ، وهى قصص تحكى لك عن ماضيك ، لتعتبر بها فى حاضرك . وهى قصص تصور لك كيف غير الرجال مجرى التاريخ ، الى مجرى ايسر ، أو الى مجرى اعسر ، فى أمة واحدة ، او فى امم عدة ، أو فى قرن ، او اكثر من قرن ..

ولكن من القصص مالا يتصل فى وثاقة بالرجال ، وانما يتصل بالافكار ، تلك التى تبحث عن مؤلفيها فلا تجد رجلا واحدا ، ولكن عدة من رجال . ولا تجد جيلا واحدا ، ولكن عدة من اجيال . فالفكرة شيء كالعجين يختمر . ولكن العجين يختمر فى ساعة او ساعتين ، ومن الافكار مالا يختمر ، ولا يتفاعل مع الزمان تفاعلا مجديا ، الا فى قرن او قرنين او قرون

والخيال فى القصص يموت ، والرجال فى قصص التاريخ تموت ، فيحتاج ذاكرها الى الرجوع الى الوراء ، يقرأ منها . ولكن من الفكر افكار خطيرة يمتد بها العمر ما امتد العمر بالناس ، وتعيش فى الناس ، فى رؤوسهم ودمائهم وعلى ايديهم ، ما عاش الناس . وهى أوصل بالمستقبل منها باللذى مضى . وهى أوثق بالغد ، القريب والبعيد ، منها بالامس قريبه وبعيده

ومن هذه قصة الذرة

انها قصة فتحت بابا من الزمان لم يفتح مثله فى سالف الايام طولا ولا عرضا

اوبنهيمر



انريكو فرمي



اوتوهان

وهو باب ينفذ منه الناس ، عن رضى أو غصبا ، افواجا ، الى هلاك ما قاربه فى تاريخ هذه الارض هلاك ، او الى حياة فيها من نعم الله ما لم يدانه فى سابق الزمان نعيم

والقصة فصول ثلاثة

وقعت حوادثهـا فى مدن ثلاث : برلين ، وشيكاجو ، ولوس الاموس

وهيمن على حوادثها فى هـذه المدن الثلاث ، رجال ثلاثة : أوتو هان الالمانى ، وأنريكو فرمى الايطـالى ، واوبنهيمر الامريكى

ثلاثة اسماء ، على صعوبتها على اللســان العربى ، ساغت بين أهل الارض على كل لسان، وكتبها التاريخ فى سجله بحروف أكثر من تلك التى كتب بها اسم نابليون او طارق او كنفوشيوس

الفصل الاول : فى برلين

الممثل الاول : هان

والزمان عام ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ كان أهل العلم قد عرفوا ان الذرة، كالبندقة ، لها لب وقشرة . وسموا اللب نواة . وعرفوا أن النواة ، لب البندقة تتألف من جسيمات ، تزيد كثرة ، كلما كبرت الذرة . وبها شحنة كهربائية موجبة . اما القشرة ، التى تلف اللب ، التى تلف النواة ، فقد احتلتها أجسام أخرى تدور حول النواة كما تدور الاقمار حول الارض، هى الالكترونات، وبها شحنة كهربائية سالبة توازن تلك الاخرى الموجبة التى هى فى نواة الذرة

وما علينا من الالكترونات

ولنتركز على النواة

وعرف العلماء انهم يزيدون هذه النواة جسيمات من مثل ما فيها ، فتتغير الذرة ، ويتحول العنصر الى

عنصر غيره . أوهم ينقصون النواة جسيمات ، فتتغير الذرة ، ويتحول العنصر الى عنصر غيره

وكان « هان » وصحبه يعملون فى مثل هذا

يطلقون على نواة الذرات جسيمات تعرف بالنيوترونات ، تستقر فى هذه النواة ، فتخلق عنصرا جديدا . يطلقونها كما تطلق انت الرصاص فى سرب حمام طائر

وماكانت النيوترونات الا من بعض ما تتالف منه نواة الذرات جميعا

واطلق «هان» رصاصاته ، نيوتروناته ، على ذرات اليورنيوم ، لينتج عنصرا اثقل ذرة . فهاله ان ذرة اليورنيوم ، بدلا من ان تزيد انفلقت فى منتصفها تقريبا ، وخرج كل شق ، فكان منهما عنصران معروفان : ذرات من عنصر البريوم ، وذرات من عنصر الكربتون

تماما كما تطلق طلقة سحرية على رجل ، فينقسم نصفين ، احدهما خروف والآخر ثعلب . مع الفارق الكبير فى التشبيه والتمثيل

ومع انشقاق ذرة اليورنيوم الى بريوم معروف ، وكربتون معروف ، خرج مقدار من الطاقة عظيم : ٢٠٠ ... ... فلت الكترونى

وكانت هذه الطاقة بيت القصيد

بل كانت هذه الطاقة هى الصرخة التى تردد دويها فى جنبات الارض ، وجعلت لها الصحف الصدارة بين اخبارها ، على غير علم كبير بخطورة ما ينشرون . وعرف العلماء خطر ذلك . وعرفه « هان » أول عارف ، ورجا الله ، فيما خاله أنه كائن من بعد تجربته هذه ، أن لا يكون

وكانت التجربة قد تمت فى السادس من يناير عام ١٩٣٩

ولد «هان» بمدينة فرنكفورت عام ١٨٧٩ . وتعلم فى جامعة مربورج وجامعة ميونيخ ، وتميز فى الكيمياء الاشعاعية . ورحل الى انجلترا فاشتغل مع عالمها المعروف ، وليم رمزى . ورحل الى كندا واشتغل مع العالم الذرى الشهير ارنست رذرفورد . وعاد الى برلين يعمل فيها مرؤوسا فاستاذا رئيسا . وهو اليوم رئيس اكبر جمعية للبحوث العلمية فى المانيا

ونال جائزة نوبل جزاء شق الذرة . والجائزة ذكرها يزول، وخبر انشقاق الذرة باق على الدهور

ولقيته بعد الحرب الثانية فى مكتبه بمدينة جوتنبرج ، بالمانيا ، منذ ست سنوات . فوجدت رجلا شيخا، قليلا، هادىء المظهر، خفيض الصوت، لاتكاد تصدق انه الرجل الذى احدث كل هذه الجلبة التى طوقت الارض. وتحدث فكشف عن قلب عامر بحب الخير للانسان

الفصل الثانى : فى شيكاجو

الممثل الاول : فرمى

والزمان عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٢ اعلنت الحرب العالمية الثانية . وانتقل سر انشقاق الذرة الى الولايات المتحدة ، نقله الذين هاجروا من المانيا هربا من هتلر الى امريكا . وقامت المعامل هناك تحقق ماكان من انشقاق

اليورنيوم ، فتأكدت لهم أخباره

اذن فالذرة مورد للطاقة «فللقوة» عظيم . ولكن كيف السبيل اليها وهي لاتخرج الا اذا انت سددت اليها طلقات من نيوترونات تصيب بهذه الذرات لتنشق . ان هذه الطلقات طاقة مبذولة . وأنت لاتظل تقف هناك تطلق طاقة لتخرج لك طاقة

وفي هذا أخذ يفكر «فرمي» الايطالي . ولعله فكر عندئذ في مصباح زيت البترول ، مصباح الكيروسين

انك تشعل هذا الزيت في شريطه بتقريب لهب منه ، أي بتقريب مصدر للحرارة عالي الدرجة . عندئذ يلتهب الزيت . وعندئذ يطفيء عود الكبريت الذي به أشعلته . وذلك لان ذرات الزيت الاولى التي التهبت ، أخرجت هي في دورها حرارة عالية أعانت الذرات التي جاءت من بعدها الى التهاب . ولما التهبت هذه أخرجت حرارة أعانت الطائفة الثالثة فالرابعة، وهلم جرا

انه تفاعل بدأته انت بعود كبريت، ثم جرى وتسلسل من ذات نفسه

فكيف يتسلسل انشقاق الذرة من ذات نفسه بعد أن تبدأ انت اليورنيوم بشق ذرته الأولى ؟!

ويذكر فرمي ، ويذكر اخوان له ، ان اليورنيوم الطبيعي به نسبة ضئيلة من يورنيوم هائج ثائر من ذات نفسه ، ينحل فيخرج الكثير من هذه النيوترونات . ولكن يمتصها فيقبرها سائر اليورنيوم الذي هو غير هاج ولا ثائر

واذن لابد من تحضير هذا اليورنيوم الثائر الهائج من اليورنيوم الطبيعي ، ففيه لابد يتسلسل التفاعل ، انها ذرات تخرج من نواتها قذائفها ، وهي من نيوترونات

ويصبح التفاعل المتسلسل هدفا

ويضاف الى اللغة العلمية تعبير جديد ، انه التفاعل المتسلسل .

ولست حتى في هذا التفاعل المتسلسل في حاجة الى عود الكبريت ، الى النيوترونات ، لتبدأ بها انشقاق ذرة اليورنيوم ان اليورنيوم الخالص فيه كبريته . انه يخرج النيوترونات بالقدر الذي يكفي ويفيض ، تخرجه الذرة اذ تنشق لترمي به ذرة أخرى لتنشق وهلم جرا

وفي جامعة شيكاجو ، بالولايات المتحدة ، يقوم جماعة من العلماء ، جاءوا من كل صقع ، يحققون هذا التفاعل المتسلسل ، وعلى رأسهم صاحب فكرة «التسلسل» ، انريكو فرمي ..

وبعد بحوث طالت وعناء ، يتم صنع أول فرن ذري

وتمت تجربة هذا الفرن في الساعة الثالثة والدقيقة ٢٥ من بعد ظهر يوم ٢ ديسمبر عام ١٩٤٢ . ففي هذه الدقيقة ، رد «فرمي» ساعته الى جيبه ، وقال في هدوء الى أعوانه : ان كفوا فقد انتهينا . ويسرع واحد الى التلفون بكلمة السر التي تقف الاسلاك التلفونية كلها ، اذا احتاج الامر ، لابلاغها لرئيس الولايات ، لروزفلت ، في البيت الابيض ، وجرى الخبر في الاسلاك يقول : ان البحار الايطالي بلغ

بالسفينة بر النجاة . فسأل الطرف الآخر : وكيف وجدتم أهل الجزيرة؟ قال صاحب الرسالة : وجدناهم وادعين . يعنى ان الذرة وهى تنشق لم يفلت زمامها من أيديهم فتنسفهم نسفا

ان كثيرا من العلماء يعدون تلك الدقيقة ، من تلك الساعة ، من ذلك اليوم ، من ذلك العام مولد عصر الذرة

أما فرمى فايطالى مسيحى ، ولد عام ١٩٠١ ، وتعلم بجامعة بيزا ، وذهب الى جوتنجن بالمانيا للدراسة والبحث. وعاد الى روما الى جامعتها يدرس الرياضة والطبيعة . وتزوج فى عام ١٩٢٤ من شابة ، لورا كابون، وهى عالمة مثله . وهى يهودية. وكان بسببها اضطهاده . وضيق عليه موسوليني فى غباء كغباء هتلر، فخرج «فرمى» من ايطاليا الى مؤتمر علمى لم يعد بعده . ذهب الى امريكا . وفقدت ايطاليا المع علمائها فى القرن العشرين

ونال فرمى جائزة نوبل

ومات فى ٢٤ نوفمبر من عام ١٩٥٤، وله من العمر ٥٣ عاما . مات باكرا بالسرطان اصابه من بحوث الذرة

الفصل الثالث : فى لوس الاموس

الممثل الاول : اوبنهيمر

أما الزمان فعام ١٩٤٣ الى عام ١٩٤٥

أما لوس الاموس فبقعة فى ولاية مكسيك الجديدة ، احدى ولايات الولايات المتحدة الامريكية، لم يسمع بها من قبل احد . قرية من قرى الهنود الحمر ، بعدت وانفصلت عن سائر البلاد المعمورة كل البعد . فقد كان الانعزال والبعد شيئين ضروريين لصنع القنبلة الذرية

وكان براس جبل هناك ، يرتفع عن سطح البحر ٧٠٠٠ قدم، مدرسة ريفية ، ففى هذه المدرسة اتخذ اوبنهيمر ورجاله مقرهم فى مارس من عام ١٩٤٣ . واقاموا على راس هذا الجبل الريفى النائى اكثر معامل الولايات العلمية استعدادا . واجتمع على راس هذا الجبل اكبر رؤوس الولايات وغير الولايات علما . وتلك البقعة التى كان يصفر فيها الطير انقلبت الى شبه مدينة ، الا انها مدينة لايدخلها كل داخل . مدينة لايدخلها الا ذو بطاقة

وتسأل القرى النائية حولهم : مايصنع هؤلاء ؟ فيأتى الجواب : لاندرى ، او يأتى بأنهم علماء فى أعلى الجبل يبحثون نجوم السماء

ان البون واسع بين فرن ذرى تنشق فيه الذرة ، ويتسلسل انشقاقها ، وتعطى فيه من حرارتها ، وتعطى من أشعتها، وبين قنبلة تصنع، لتنفجر من ذات نفسها ، وينجو صانعها

ولكن تحت قيادة هذا الرجل العالم تعاون العلماء فانتجوا تلك القنبلة الاولى ، قنبلة هيروشيما ، التى ملأت سمع الناس فى السادس من اغسطس عام ١٩٤٥

ولن ادخل فى هذا ، فأقص قصته، فهذا شيء يطول . والعلم قد يسوغ حكاية ، ولكن تمل منه عند غير

العلماء التفاصيل

اما أوبنهيمر ، رجلنا هذا الثالث الذى عمل فى الذرة، بين آلاف آخرين من رجال علماء نابهين ، فقد ولد فى الولايات المتحدة عام ١٩٠٤ ، فهو أمريكى . وولد فى نيويورك من أبوين يهوديين. وتعلم بجامعة هارفرد بالولايات ، وجامعة كمبردج بانجلترا، وجامعة جوتنجن بالمانيا ، ومن هذه الاخيرة نال درجة الدكتوراه عام ١٩٢٧ . وعاد الى كليفورنيا ، الى المعهد الشهير الذى بها ، المعهد التكنولوجى ، وقضى به سنوات يبحث فى طبيعة المادة ، والكهرباء ، والاشعاع ، وكان عمدة فى علم بناء الذرة

وقامت الحرب العالمية الثانية فعهدت الولايات المتحدة اليه بتدبير أمر القنبلة الذرية. وتم صنع القنبلة، فقال عنه وزير الدفاع الامريكى : ان النجاح فى صنع القنبلة الذرية يرجع اكثره الى عبقرية أوبنهيمر ، والى أبحاثه وقيادته زملاءه

وتعين من بعد ذلك مستشارا للدولة فى أمر الذرة

وفى اكتوبر عام ١٩٤٧ تعين مديرا لمعهد الدراسات العليا بجامعة برنستن، حيث كان يعمل أينشتين

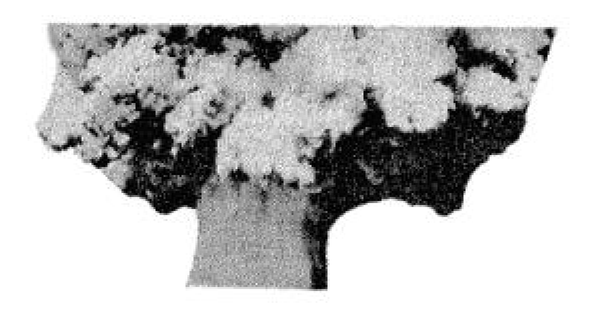
وعين فى عام ١٩٥١ عضوا فى لجنة من ١١ عضوا من العلماء تنصح الدولة فيما يختص بالتعبئة القومية

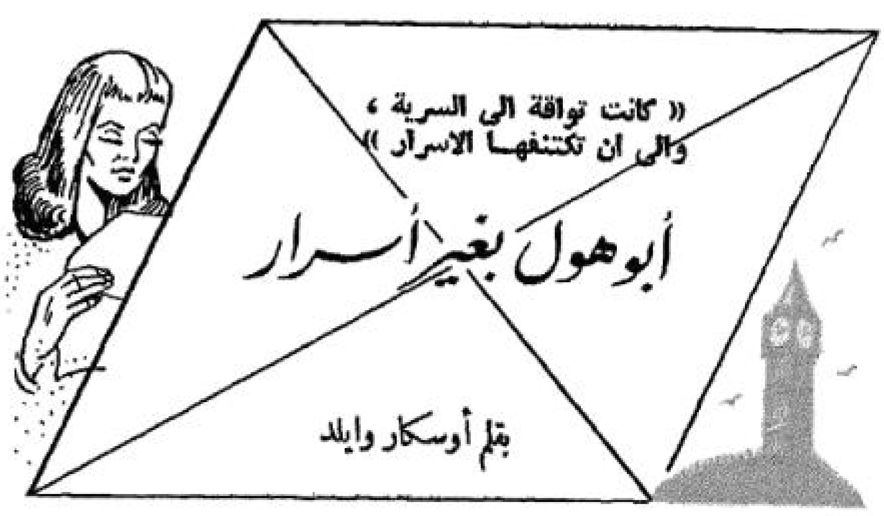
وتقوم حركة التطهير فى الولايات المتحدة ، ذعرا من الشيوعية ، وتقام لجان فى الكنجرس الامريكى تستجوب الناس فى عقائدهم ، وفى تاريخ حياتهم

ويجىء دور أوبنهيمر فى الاستجواب . وتوقفه السلطات عن أعمال الذرة ، والاطلاع على أمور الذرة ، والقيام ببحوثها

ويهتز العالم العلمى بالولايات لهذا الحادث ، ويعدونه حادثا وجميا . ويستأنف الحكم . فيرفض الاستئناف . وفى الحكم المستأنف تقول لجنة الطاقة الذرية التى استؤنف امامها الحكم ، وهى لجنة حكومية ليس كلها من العلماء ، تقول تعزيزا لحكمها بالرفض :

ــ انها لاتطعن فى ولاء الدكتور أوبنهيمر ، ولكنها لاتطمئن الى بعض آرائه. وانه لم يتحمس لصنع القنبلة الادروجينية ، وانها وجدت بين أصدقائه شيوعيين ، وثق بين نفسه وبينهم أواصر ما كان يجوز لعاقل أن يوثقها الى هذا الحد !





فى اصيل احد الايام ، كنت جالسا خارج مقهى السلام اتفرج على ماق الحياة البارينية من اناقة ورثاثة ، واعجب ، وانا احتسى كاسى ، مما اراه قبالتى من مظاهر الثراء والفاقة ، واذ ذاك سمعت احدا ينادى باسمى ، فادرت راسى ، ورأيت اللورد مورشيسون .. ولم نكن قد تقابلنا منذ ان كنا معا فى الكلية منذ عشر سنوات تقريبا ، لهذا قد اغتبطت بالتقائى به مرة اخرى . وتصافحنا فى حرارة وفى شوق عظيم . وكنا صديقين حميمين فى اكسفورد ، وكنت أوده أعظم الود ، فقد كان فتى وسيما ، وثاب الروح ، سامى الاخلاق ، نبيل الشمائل ، وكنا دائما نقول عنه انه كان كفيلا ان يصبح من خير الرجال لو انه لم يكن صريحا صادقا على الدوام ، ولكننى اظن اننا كنا نعجب به من اجل هذه الصراحة

ولقد وجدته قد تغير تغيرا عظيما واضحا ، فقد كانت مظاهر اللهفة والحيرة والقلق بادية عليه ، وكانما كان فى شك من امر ما ، وشعرت ان هذه الحالة لا يمكن ان تكون حالة الالحاد العصرى ، لان مورشيسون كان من اقوى الناس عقيدة واثبتهم ايمانا . ولهذا فقد استنتجت ان المراة هى علة هذه الحال ، فسالته هل لم يتزوج بعد فاجابنى بقوله :

ـ انى لا افهم النساء فهما كافيا

فقلت له :

ـ يا عزيزى جيرالد . لقد خلقت النساء لنحبهن لا لنفهمهن

ـ انى لا استطيع ان اضع حبى فيما لا استطيع ان اضع فيه ثقتى

ـ اعتقد ان فى حياتك سرا يا جيرالد فافض به الى

ـ دعنا نستقل مركبة ، فان الزحمة هنا عظيمة ، كلا ، لا اريد مركبة صفراء ، لتكن ذات لون آخر ... هاكها ، تلك المركبة الخضراء الداكنة

وبعد دقائق قليلة كانت المركبة

منطلقة بنا فى الطريق صوب مادلين، وسألته بقولى :

ـ ماهى وجهتنا ؟

ـ اوه ، أى مكان تريد . الى المطعم فى البوا ، وهناك نتناول العشاء وتنبئنى بكل شىء عن نفسك

ـ اريد ان اسمع حديثك عن نفسك أولا . أفض الى بسرك

فاخرج من جيبه علبة صغيرة من الجلد فى اطار من الفضة ، ومد يده بها الى ، ففتحتها ، وكانت بداخلها صورة امرأة طويلة القامة، نحيفة الجسم جميلة فتانة ذات عيون واسعة وشعر مرسل ،وكانت ملتفة فى فراء ثمين وسألنى صاحبى بقوله :

ـ ما رأيك فى هذا الوجه ؟ هل يمثل الصدق ؟

فتفرست فيه وعجمته بنظرى فى دقة ، فخيل الى انه وجه واحدة تطوى سرا ، ولكنى لم أكن استطيع ان اجزم هل هو سر طيب ام خبيث وكان جمالها ذلك الجمال الذى يتكون من أسرار عديدة ، بل هو فى الواقع جمال سيكولوجى وليس جمالا شكليا ، وكانت الابتسامة التى تحوم حول الشفتين غامضة غموضا ذهب بحسن الابتسامة

وقال فى صبر نافد :

ـ نعم . ماقولك ؟

ـ انها الجيوكندا فى ثياب الحداد . اسمعنى كل شىء عنها

ـ ليس الآن . بعد العشاء

ثم شرع يتحدث فى مواضيع اخرى ..

ولما أتى الينا خادم المطعم بالقهوة والسجاير ، ذكرت جيرالد بوعده ، فانبعث واقفا على قدميه ، وطفق يذرع الغرفة جيئة وذهابا ، وأخيرا تهالك فوق مقعد ذى مسندين ، وروى لى القصة التالية ... قال :

ـ كنت ذات مساء سائرا فى بوند ستريت حوالى الساعة الخامسة ، وكان هناك زحام شديد من المركبات حتى وقفت حركة الشارع . وكانت الى جانب الافريز مركبة صفراء صغيرة واقفة اجتذبت انظارى لعلة لست ادرى كنهها . وفيما كنت مارا بها أطل منها الوجه الذى اريتك اياه ، ففتننى على الفور ، وسلب لبى ، وظللت افكر فيه طوال تلك الليلة ، وطيلة اليوم التالى ، ورحت اتجول ذهابا وايابا فى ذلك الشارع ، واطل فى كل عربة ، وانتظر المركبة الصفراء ، ولكنى لم استطع العثور على جميلتى المجهولة ، حتى بدأت أخيرا احسب ان ما رأيته لم يكن الا حلما . وبعد اسبوع تقريبا دعيت الى العشاء عند مدام دى راستايل ، وكانت الساعة الثامنة موعدا للعشاء ، ولكنا كنا لانزال فى غرفة الاستقبال فى منتصف التاسعة ، وأخيرا فتح الخادم الباب على مصراعيه ، واعلن قدوم الليدى الروى ، وكانت هى السيدة التى ابحث عنها . ودخلت تسير وئيدة وهى تبدو كأشعة القمر فى ثوب رمادى . ولشد ماكان فرحى

واغتباطي حين طلب مني أن اذهب بها الى المائدة . وبعد أن استقر بنا المكان قلت فى سذاجة وبطوية سليمة :

– اظن انى رأيتك مرة فى بوند سريت منذ وقت قريب ياليدى الروى فشحب وجهها ، وامتقع لونها ، وقالت فى صوت خفيض :

– بربك لاترفع صوتك الى هذا الحد فقد يسمعك انسان

وشعرت بالالم من هذه البداية السيئة التى بدرت منى ، واندفعت فى جنون التحدث عن موضوع المسرحيات الفرنسية

وتكلمت الليدى قليلا ، وكانت دائما تتكلم بذلك الصوت الخفيض الموسيقى النبرات ، وكانما كانت تخشى أن يكون هناك من يصغى للحديث

ووقعت فى اشراك حبها ، وهمت بغرامها هياما عنيفا سخيفا ، والهب فضولى ذلك الجو السرى الغامض غير المحدود الذى يكتنفها . ولما همت بمغادرة الدار ، وكان ذلك بعد العشاء بزمن وجيز جدا ، سألتها اذا كان من المستطاع ان أزورها واراها ، فترددت لحظة ، وجالت بنظرها فيما حولها لترى ان كان هناك من هو قريب منا ، ثم قالت :

– نعم ، فى الخامسة الا ربعا

ورجوت مدام دى راستايل أن تحدثنى عنها ، غير ان كل ما استطعت ان اعلمه عنها انها ارمل لها منزل جميل فى « بارك لين » ، وفيما كان احد العلماء الثقلاء قد شرع يتحدث عن الارامل ، ويضرب الامثال على بقاء الاصلح من الوجهة الزوجية ، فقد غادرت المكان وقفلت راجعا الى منزلى

ووصلت فى اليوم التالى الى بارك لين فى الموعد المحدد بالضبط ، غير انى انبئت ان الليدى الروى قد بارحت الدار منذ قليل ، فقصدت الى النادى مهموما محزونا وفى حيرة عظيمة . وبعد تفكير طويل دبجت لها رسالة اسألها ان كانت تبيح لى ان اجرب حظى مرة اخرى أصيل احد الايام . ولم أتلق ردا فى خلال عدة ايام ، واخيرا تسلمت كلمة موجزة تنبئنى فيها انها ستكون فى المنزل فى الساعة الرابعة من يوم الاحد . وفى نهاية الرسالة كانت هذه الجملة الغريبة « ارجوك الا تكتب لى بعنوانى هنا ، وساشرح لك الامر حين اراك »

واستقبلتنى يوم الاحد ، وكانت بالغة مبلغا عظيما من الرقة والظرف ولما همت بمبارحة دارها رجتنى ان أكتب اليها ، ان كانت هناك ضرورة للكتابة بهذا العنوان :

« مسز نوكس ، طرف مكتبة هويتكار ، شارع جرين »

وقالت فى تعليل ذلك :

– هناك اسباب تدعو الى عدم تسلمى رسائل فى منزلى

ورايتها خلال الموسم مرات عدة ، وما انجلت عنها سحب الغموض التى كانت تكتنفها . وكنت احيانا احسب انها فى قبضة رجل متسلط

عليها ، ولكنها كانت تبدو لى سيدة منيعة لايستطيع ان يقرب منها أحد ، فلم استطع ان أومن بهذا الخاطر . وكان من العسير على حقا ان أصل الى راى أو استنتاج ، لانها كانت كواحدة من تلك البللورات العجيبة التى نراها فى المتاحف والتى تكون صافية تارة وطورا ملبدة قاتمة

□

واعتزمت اخيرا ان أطلب الزواج منها ، فقد برمت بتلك السرية الدائمة التى تحيط بها كل زياراتى ، والرسائل القليلة التى أبعث بها اليها ...

وبعثت اليها برسالة على المكتبة اسألها ان كانت تستطيع أن تقابلنى يوم الاثنين التالى فى الساعة السادسة ، فاجابتنى بنعم . وشعرت انى بلغت السماء السابعة من فرط السرور والسعادة . وكنت قد اغرمت بها على الرغم من هذه الاسرار التى حسبت اذ ذاك انها علة حبى ، كلا ، والواقع ان هذه المراة نفسها هى التى أحببتها . اما هذه السرية فقد ازعجتنى واقلقت بالى ، وخبلت عقلى . ولم يشأ الحظ أن أعثر على طريق هذه الاسرار

ــ هل اكتشفتها اذن ؟

ــ اظن ذلك . على انك تستطيع ان تحكم بنفسك

لما جاء يوم الاثنين الموعود قصدت الى منزل عمى لاتناول الغداء معه ، وفى الساعة الرابعة وجدت نفسى فى طريق مارلبون . وعمى كما تعرف يسكن فى ريجنت بارك ، وكنت أريد أن أصل الى بيكادلى ، فسلكت طريقا مختصرا ، مجتازا شوارع صغيرة قذرة

وفجاة رايت ليدى الروى تسير قبالتى مقنعة ، وتمشى فى سرعة عظيمة ، ولما وصلت الى آخر منازل ذلك الشارع ، صعدت السلم ، واخرجت مفتاحا ودخلت المنزل ، فقلت لنفسى :

ــ هاك مفتاح السر !

واسرعت الى المنزل ، ورحت اتفرس فيه وافحصه ، فرايت فيه منزلا مما يؤجر اقساما ، وعلى عتبة الباب وجدت منديلها الذى سقط منها ، فتناولته ووضعته فى جيبى ، ثم بدات افكر فيما يجب على ان اعمله

ورأيت اخيرا ان ليس لى الحق فى التجسس عليها ، فركبت مركبة أوصلتنى الى النادى

ولما جاءت الساعة السادسة ذهبت القائها ، وكانت راقدة على اريكة ومرتدية مباءة جميلة ، وكانت بادية الحسن والجمال وقالت لى :

ــ اننى سعيدة برؤيتك فانى لم اخرج طوال اليوم

فحملقت فيها فى دهشة ، واخرجت المنديل من جيبى ، وقدمته اليها ثم قلت فى هدوء

ــ لقد سقط منك هذا المنديل فى شارع كامنورعصر اليوم ياليدى الروى فنظرت الى نظرة الوجل

العظيم ، ولكنها لم تحاول اخذ المنديل فسألتها بقولى :

ـ ماذا كنت تفعلين هناك ؟

فأجابتنى بقولها :

ـ اى حق يخول لك سؤالى ؟

ـ حق الرجل الذى يحبك ويهواك . وقد جئت اليوم اليك لاطلب منك ان تكونى زوجتى

فاخفت وجهها بين يديها ، واندفعت فى البكاء والنحيب ،فقلت لها متابعا حديثى :

ـ يجب أن تخبرينى

فوقفت على قدميها ، ونظرت بجراة فى وجهى وقالت :

ـ لورد مورشيسون ،ليس هناك ما اخبرك به

فصحت بها :

ـ انك ذهبت الى هناك لمقابلة واحد ، وهذا هو سرك

فشحب وجهها شحوبا عظيما وقالت :

ـ لم اذهب الى هناك لمقابلة اى انسان

ـ الا تستطيعين الافضاء بالحقيقة الى ؟

ـ لقد افضيت بها اليك

فجن جنونى ، واختبل ذهنى ، وما ادرى ماالذى نطقت به ، ولكنى اشعر انى اسمعتها اقذع الكلمات، ثم اندفعت اخيرا وبارحت المنزل ، فكتبت الى خطابا فى اليوم التالى ، ولكنى رددته اليها دون أن افضه، ثم رحلت الى النرويج مع الان كولفيل

وعدت بعد شهر ، وكان أول ما وقع عليه نظرى فى جريدة المورننج بوست هو خبر وفاة الليدى الروى ، وكانت قد أصيبت ببرد شديد فى دار الاوبرا ، وقضت نحبها بعد خمسة ايام بالتهاب فى الرئتين.

فاعتزلت العالم ، وابيت أن ارى واحدا من الناس. كنت قد احببتها من اعماق قلبى ، وهمت بغرامها ، وتدلهت فى هواها ... يا رباه ! لشد ما كان حبى وغرامى بهذه المراة !

ـ هل ذهبت الى الشارع ؟ الى المنزل الذى فيه ؟

ـ نعم ففى ذات يوم ذهبت الى شارع كمفورد ، لانى لم استطع ان اغالب هذه الرغبة ، وكان الشك يمزق احشائى ويلهب دمائى ، وطرقت الباب ، ففتحته لى سيدة محترمة جليلة ، فسألتها ان كان لديها حجرات تؤجرها فاجابت :

ـ حسنا يا سيدى. ان المفروض ان تؤجر غرف الاستقبال ، ولكنى لم ار السيدة منذ ثلاثة اشهر . وبما ان الاجر مستحق على هذه الحجرات فانك تستطيع استئجارها

فاريتها الصورة الفوتوغرافية وسألتها :

ـ هل هذه هى السيدة ؟

فصاحت بقولها :

ـ انها هى بعينها بكل تاكيد . متى هى عائدة ياسيدى ؟

ـ لقد ماتت هذه السيدة

ـ اوه ياسيدى ، هذا ما لا أرجوه . لقد كانت خير الساكنين



« وتناول الحقيبة الجلدية من جيبه ، وفتحها والقى نظرة على الصورة »

عنــدى ، وكانت تدفع لى ثلاثة جنيهات فى الاسبوع لا لشىء الا لتجلس فى غرفة الاســتقبال بين حين وحين

ـ هل كانت تلتقى بأحد هنا ؟

ولـكن المرأة أكدت لى ان الامر لم يكن كذلك ، وانهــا كانت تأتى دائما وحدها ولم تكن تقابل أحدا، فصحت بها قائلا :

ـ اذن ماذا كانت تفعل هنا ؟

ـ كانت تقتصر على الجلوس فى غرفة الاستقبال يا سيدى تطالع بعض الـكتب ، وأحيــانا تشرب فنجانا من الشاى ..

ولم أدر ماذا أقول، لهذا أعطيتها جنيها وتركتها . والآن فما رأيك فى كل هذا ؟ هل تظن ان المرأة كانت صادقة فى اقوالها ؟

ـ نعم . أصدقها

ـ اذن لم كانت الليدى الروى تذهب الى هناك ؟

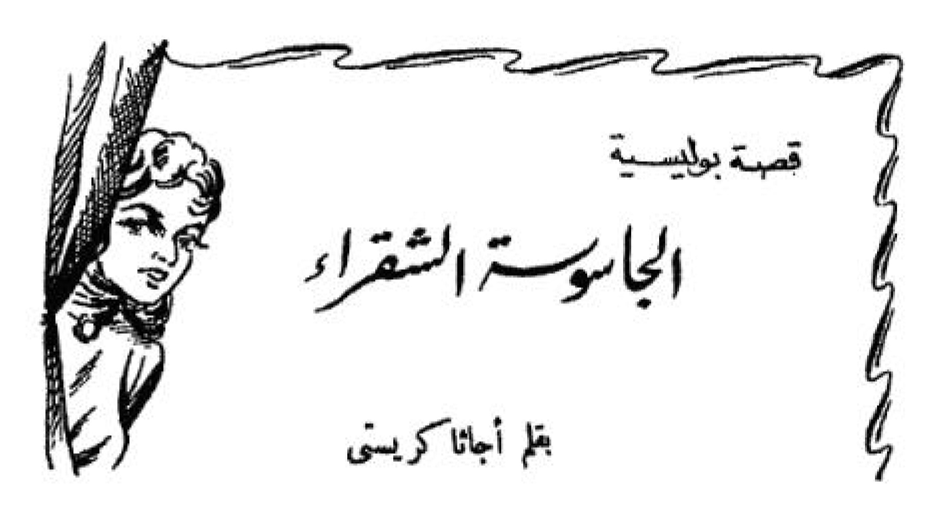
ـ يا عزيزى جيرالد ، لقــد كانت الليدى الروى امرأة مجنونة بفكرة السرية ، فاستأجرت هــذه الغرف لتستلذ بالذهاب اليهــا محجبة مقنعة ، وهى تتخيل انهــا بطلة من البطلات . لقد كانت تواقة الى السرية ، والى ان تكتنفها الاسرار، ولـكنها كانت فى الواقــع ابا هول بغير أسرار

ـ هل تظن ذلك حقا ؟

ـ انى على يقين منه

فتنــاول الحقيبة الجلدية من جيبه ، وفتحهــا والقى نظرة على الصورة الفوتغرافية ، ثم قال اخيرا

ـ انى أعجب ...!!!



قصة بوليسية

الجاسوسة الشقراء

بقلم أجاثا كريستى

كنا نقضى السهرة فى منزل صديقى جيرالد باركر ... وتشعب بنا الحديث الى نواح مختلفة حتى انتهى الى موضوع البحث عن المساكن فى لندن ، وكان صديقنا باركر هاويا الانتقال من مسكن الى مسكن كلما وجد مسكنا افضل من المقيم فيه ، وفيما نحن نتحدث عن أزمة المساكن المستحكمة ، اذا مسز روبنسون — وهى عروس جميلة كانت مع زوجها بين المدعوين الى السهرة الخاصة — تقول :

ـ بمناسبة الحديث عن المساكن الخالية ، هل سمعت يامستر باركر عن الحظ الذى حالفنا أخيرا ... لقد استاجرنا مسكنا انيقا فى عمارة مونتاجو .. الطابق الثانى رقم ٤

وقال لها باركر :

ـ ان ايجارات المساكن فى هذه العمارة مرتفعة ... اليس كذلك ؟!

ـ العجيب اننا استاجرناها بثمانين جنيها فى العام ؟!

ـ هذا اعجب ما سمعت ... لا شك انك دفعت مبلغا كبيرا مقابل ...

ـ لا .. لا .. بل لقد اشترينا ايضا الاثاث الموجود فيها كلها بخمسين جنيها ..

ـ اذن فلا شك ان سكانها الذين اجروها لك مجانين من هواة الخير والاحسان ..

وبدا الاضطراب واضحا على وجه مسز روبنسون ، ثم قالت وهى مقطبة الجبين :

ـ ان هذا الامر عجيب اليس كذلك يا مستر باركر .. اتظن ان المسكن ... مسكون بالأشباح ؟

فابتسم باركر ثم قال وهو يشير الى شخصى :

ـ ان صديقى هاستنج خبير بالكشف عن المسائل الغامضة التى من هذا النوع ...

وضحكت انا فى ارتباك لا يخلو من ابتهاج ، بينما قالت مسز

روبنسون موجهة الحديث الى رغم انى لم اكن اعرفها الا قليلا .

ـ الواقع يا مستر هاستنج ان الامر لا يخلو من غموض ... وهذا ما يثير قلقى .. فقد ذهبت مع زوجي الى مكتب ستوسر لتأجير المساكن ، وهناك قيل لنا ان لدى المكتب مساكن خالية يتراوح ايجار الواحد منها بين ٣٠٠ و ٤٠٠ جنيه في العام وان المساكن التى يقل ايجار الواحد منها عن مائتى جنيه في العام يطالب ساكنها السابق « بخلو » كبير ... وفيما نحن نهم بالانصراف قال مدير المكتب ان لديه مسكنا مكونا من ثلاث غرف والمرافق بعمارة مونتاجو ، وأن سكانه الحاليين لا يطلبون تأجيره بأكثر من ثمانين جنيها في العام ، ولكن العجيب في الأمر انه ـ أى المدير ـ كلما ارسل واحدا من الراغبين في السكنى الى هذا المسكن الرخيص ، لا يلبث ان يعود ساخطا قائلا انه ذهب متأخرا حيث وجد سكانه قد اجروه قبل وصوله بساعات ...

وصمتت مسز روبنسون ريثما تلتقط انفاسها ثم استطردت تقول :

ـ وشكرنا مدير مكتب التأجير واعربنا له عن تقديرنا لظروفه ، وقلنا له اننا لا نرى بأسا في أن نقوم بمحاولة اخيرة ، وبعد أن عرفنا منه رقم المسكن ، مضينا اليه في سيارة مأجورة ، وفيما نحن ننتظر المصعد ، اذا بصديقتي مسز فيرجسون تهبط فيه مسرعة ، فلما علمت الغرض من مجيئنا ، ابتسمت ساخرة وقالت انها هى ايضا جاءت لتستأجر هذا المسكن ذا الايجار الزهيد ، ولكنها علمت من فورها أن غيرها سبقها الى استئجاره ، وبعد أن انصرفت أصر زوجي جون على أن نصعد وأن نحاول اقناع مستأجره القديم بتأجيره لنا مقابل « خلو » كبير اذا شاء .. ولكن العجيب في الأمر كله اننا ما أن وصلنا الى المسكن وشاهدناه حتى تم الاتفاق بيننا وبين مستأجرته السابقة ، فاشترينا الاثاثات الموجودة به بخمسين جنيها ، ووقعنا عقد الايجار بثمانين جنيها في العام .. ؟ وسوف ننتقل اليه غدا ..

وعندئذ قال باركر :

ـ ولكن .. لماذا قالت مسز فيرجسون ان غيرها سبقها الى استئجاره ؟ الا شك ان صاحبنا هاستنج يستطيع أن يستنتج السبب

فقلت ببساطة :

ـ لا شك أن مسز فيرجسون كانت تعني مسكنا آخر ..

وتمنيت لو كان صاحبى بوارو ـ خليفة شرلوك هولمز ـ معى في تلك اللحظة ليرى كيف اجيب على اعقد المشكلات ببساطة ويسر

□

ولما اخبرت بوارو بهذا الأمر في اليوم التالى ، وجدت أمارات الاهتمام الشديد ترتسم على وجهه واذا هو يقول مفكرا :

ـ هذه الحالة عجيبة !! معذرة

يا هاستنج ... لسوف أتمشى قليلا ...

ولما عاد بعد نحو ساعة ، كانت عيناه تتألقان بالانفعال ، واذا هو يقول :

ـ من حسن الحظ يا عزيزتي اننا غير مشغولين بشيء في هذه الأيام ، ومن ثم يمكننا ان نقوم بالتحريات اللازمة في موضوع مسز روبنسون

ـ اية تحريات تعني ؟!

ـ التحريات التي تفسر السبب في ضآلة ايجار مسكن انيق كهذا .. فلا شك أن هناك سببا

ـ ولكن مسز روبنسون نفسها غير مهتمة بالأمر ...

ـ آه مسز روبنسون ... هل تستطيع أن تصفها لي ؟!

ـ انها طويلة القامة ، ناعمة البشرة ، نحاسية الشعر ، زرقاء العينين ...

ـ وزوجها ؟!

ـ شاب عادي ليس فيه ما يلفت النظر ..

ـ هل تعرف عن حياتهما الخاصة شيئا ؟!

ـ لا .. انني تعرفت بهما منذ عهد قريب عن طريق صديقنا المشترك باركر

وفجأة قال بوارو في لهجة جادة :

هلم نذهب الى عمارة مونتاجو لنقوم ببعض التحريات البسيطة

وصحبته اليها .. وكانت عمارة جميلة متعددة الطوابق ، في كل طابق مسكنان . وكان بوابها جالسا في مدخلها يستمتع بأشعة الشمس ،

فقال له بوارو :

ـ هل تقيم مسز روبنسون وزوجها هنا ؟!

وكان البواب يبدو من النوع الذي يحب في الكلام « ما قل ودل » اذ قال دون ان ينظر الينا :

ـ المسكن رقم ٤ ، الطابق الثاني

ـ لا شك انك تعرف متى استأجرت مسز روبنسون مسكنها هذا ؟!

ـ منذ ستة اشهر

فقلت في دهشة بالغة :

ـ هذا مستحيل ! لا شك انك تعني مسز روبنسون أخرى ومسكنا آخر ...

وقال المسيو بوارو للبواب :

ـ هل انت واثق ! ان مسز روبنسون التي اعنيها طويلة القامة ، زرقاء العينين ، شقراء ، نحاسية الشعر ؟!

ـ انها هي بنفسها ... لقد استأجرت المسكن منذ ستة اشهر ..

ولما بدا البواب يفقد اهتمامه بأمرنا ، انصرفنا عنه حيث قال بوارو :

ـ ما رأيك يا هاستنج ؟! يبدو ان النساء الجميلات لا يتمسكن بالصدق دائما ؟!

ولم اجب بشيء ، ولكني حين رأيته يتجه بي الى شارع برومبتون ، قلت له :

ـ الى اين .. ؟!

ـ الى مكتب تأجير المساكن .. فان بي رغبة شديدة للسكنى بعمارة مونتاجو هذه ...

وساعدنا الحظ ، فوجدنا بالعمارة شقة مفروشة بالطابق الرابع ، رقم ٨ . فاستأجرناها لمدة شهر بأربعين جنيها . وقد قال بوارو بعد توقيع العقد :

ـ انني أكسب كثيرا في هذه الأيام ، فماذا لو أنفقت قليلا لأرضي فضولي من هذه الناحية !

وبهذه المناسبة يا هاستنج ... هل معك مسدسك ؟!

فقلت وقد شعرت بأن الأمر جد خطير :

ـ نعم .. ولكن .. هل تعتقد أن .. !

ـ اننا سنحتاج اليه !! هذا محتمل جدا ... أرى السرور واضحا في عينيك .. انك هاو للمغامرات

وفي اليوم التالي كنا قد انتقلنا الى المسكن ، رقم ٨ بالطابق الرابع بعمارة مونتاجو ، وبعد يومين ، علمنا بالمراقبة الشديدة التي كنا نقوم بها ـ أن مسز روبنسون وزوجها وخادمتهما قد غادروا مسكنهم ولن يعودوا الا بعد أكثر من ساعة ، فتسللنا هابطين من مصعد الفحم الذي يمتد في الجانب الخلفي من المساكن ويتصل مباشرة بأبواب الكرارات . وكان بوارو يحمل في جيبه بعض آلات نجارة دقيقة استطاع بها أن يجعل في مقدوره فتح باب الكرار من الخارج كلما أراد

وأعاد الأدوات الى جيبه ، وعدنا الى مسكننا ...

وقضى بوارو يوم الاثنين كله في الخارج ، فلما عاد في المساء . ألقى بنفسه على المقعد وهو يتنهد في ارتياح ، ثم قال :

ـ هاستنج .. لسوف أحدثك بقصة من النوع الذي يستهويك .. قصة كأنها شريط سينمائي ..

ـ آه .. قصة من وحي خيالك ؟!

ـ لا .. لا .. انها حقيقية ، ويشهد بذلك صاحبنا المفتش جاب باسكتلانديارد .. منذ أشهر قليلة سرقت رسومات استحكامات بحرية من الحكومة الامريكية ، وهذه الرسومات تفيد دولة معادية وتكشف عن الكثير من أسرار الدفاع الامريكي الذري . ودارت الشكوك حول رجل ايطالي يدعى لويجي فالدارنو عضو في عصابة جواسيس دولية خطيرة ، ولكن السلطات الامريكية عثرت عليه مقتولا في الحي الشرقي بمدينة نيويورك ، ولكنهم لم يعثروا على المستندات المسروقة معه ، وكان المعروف أن لويجي فالدارنو على اتصال سابق بمطربة ألمانية تدعى مس السا هاردت كانت تعيش مع أخيها في مسكن خاص بمدينة واشنطن ، وقد اختفت السا فجاة بعد مقتل لويجي ، وكل ما استطاعت ادارة المخابرات الامريكية أن تعلمه عنها أنها سافرت الى انجلترا مع أحد اليابانيين ، وانها عضو في عصابة جواسيس دولية أخرى تنافس العصابة الأولى التي كان لويجي أحد أعضائها

وصمت بوارو برهة قبل أن

يفاجئني بقوله : .

ـ واوصاف السا هاردت كما وردت في سجلات بوليس نيويورك هي : طويلة القامة : خمسة أقدام وسبع بوصات ، زرقاء العينين ، نحاسية الشعر، ناعمة البشرة و .. فشهقت قائلا.

ـ مسز روبنسون .. ؟!

ـ محتمل جدا ... وقد علمت أن رجلا غريبا كان يسال عن سكان المسكن رقم ٤ بالعمارة هذا الصباح، ولهذا اعتقد يا عزيزي انك ستبيت الليلة ساهرا في ركن من مطبخ مسز روبنسون .. وعليك أن تتسلح بمسدسك

□

وهبطنا ـ في منتصف الليل، من طريق مصعد الفحم الى باب كرار مسكن مسز روبنسون ، وفتحناه برفق ، ثم تدلينا منه الى المطبخ ، حيث جلسنا في مقعدين وراء بابه المفتوح المؤدي الى الردهة الداخلية، ولم أدر كم مضى علي من الوقت حين شعرت بيد بوارو تهزني وتوقظني من سباتي ، ثم اذا هو يهمس :

ـ انصت ... ان شخصا ما يحاول دخول المسكن من بابه الخارجي .. هل نستقبله .. أريد أن يتم كل شيء في صمت وسكون .. عندما يدخل ، عليك أن تمسك بذراعيه ، وسأكون قد لففت حول وجهه وشاحا من الحرير المتين .. ولكن .. كن على حذر من خنجره .

وتسللنا في رفق الى ما وراء الباب الخارجي ، وما هي غير لحظات حتى رأينا الباب يفتح في حذر ثم يدخل رجل متوسط الطول في يده مصباح كهربائي صغير يحاول أن يتحسس به طريقه ، وفي لمح البصر كنت قد أمسكت بذراعيه من خلفه، بينما كان بوارو قد قام بدوره في لف وشاح حريري حول وجهه .. تم هذا كله في لحظات معدودة وفي سكون تام

ولما أحس الرجل الغريب بفوهة مسدسي في ظهره ، استسلم تماما. فغادرنا معه المسكن واغلقنا الباب الخارجي، ومضى بوارو يهبط السلم اولا ، والرجل الغريب وراءه ، وانا في النهاية والمسدس في يدي ، وفي خارج العمارة ، همس بوارو للرجل ببضع كلمات اشرق على اثرها وجهه، ثم قال لي بوارو :

ـ هات المسدس يا هاستنج ، واذهب لاحضار سيارة مأجورة لنا من منعطف الشارع القريب

ولما عدت بالسيارة ، كان بوارو قد رفع الوشاح عن وجه الرجل . فنظرت اليه مدهوشا وقلت :

ـ انه ليس يابانيا .. ؟!

ـ نعم .. انه ايطالي ..

وركبنا السيارة المأجورة ، وذكر بوارو لسائقها عنوانا في ضاحية سانت جون وود ، وكان الأمر عندئذ قد غم علي تماما ، ولم استطع أن أسال بوارو عن شيء

وهبطنا أمام باب بيت صغير ، وصعدنا الدرجات القليلة المؤدية الى الباب الأمامي ، وضغط بوارو على الجرس بضع مرات حتى فتح الباب أخيرا وظهر رجل متجهم الوجه ،



« وتقدم الايطالى منها ومسدس فى يده ، وصرخت المرأة وحاولت الهرب »

فقال له بوارو ان زوجته مريضة وفى حاجة الى طبيب ، فرد الرجل قائلا وهو يوشك أن يغلق الباب :

ـ لا يوجد أطباء هنا . . .

ـ أحقا .. اذن يجب أن أشكوك للبوليس لأنك تشيع عن نفسك انك طبيب و . . .

وهبط بوارو بضع درجات ، واذا الرجل يسرع وراءه قائلا فى خوف :

ـ لا لا .. لا داعى للذهاب الى رجال البوليس

وعندئذ رأيت بوارو يدفع الرجل بعيدا ، ثم يسرع ونسرع وراءه الى داخل المنزل ونغلق الباب علينا من الداخل بالرتاج ، ثم نمضى الى قاعة الاستقبال بسرعة حيث أشار بوارو الى ستارة من المخمل منسدلة من أعلى نافذة الى الأرض ، وقال للايطالى :

ـ اختبىء وراء هذه الستارة بسرعة . . .

وما كاد الايطالى يختبىء وراء الستارة ، حتى أقبلت سيدة شابة نحاسية الشعر ، شقراء ، زرقاء العينين تهتف قائلة وهى تدير عينيها فى جوانب الغرفة بخوف :

ـ أين زوجى .. من أنتم .. ؟!

وعندئذ انفرجت الستارة ، وتقدم الايطالى منها ومسدس فى يده ، وصرخت المرأة وحاولت الهرب من الغرفة وهى تقول :

ــ دعــوني اخــرج ... انه سيقتلني ...

وقــال الايطالي وهــو يهــدد بالمسدس :

ــ من الذى قتل زميلي لويجي أيتها الأفعى ...

وقلت أنا في استنكار شديد حين رأيت مسدسي في يد ذلك الايطالي:

ــ ان هذا تصرف رهيب يا بوارو

ــ اطمئن يا هاستنج ... فأنا أعرف أن صاحبنا لن يطلقــه على أحد ...

فقال الايطالي وهو ينظر بعينين حمراويتين الى السيدة الشقراء الواقفة ترتعد في قبضة بوارو :

ــ أحقا .. سوف نرى ...

وقالت السيدة اخيرا بصــوت خافت :

ــ ماذا تريدون ؟ ومن تريدون ؟ !

فانحنى بوارو برشاقة امامهــا وقال :

ــ انت تعــرفين يا مس الســا هاردت ماذا نريد .. !

واختطفت الســا بسرعة بالغــة كيسا من المخمل الأسود مصنوعا على هيئة قط ليكون غطاء أنيقــا للتليفــون ، ثم قالت وهى تلقى به الى بوارو :

ــ ان الاوراق في بطانة هــــذا الكيس ...

ــ عظيم جدا ... شكرا يا مس الســا .. والآن سوف احجز صاحبنا هذا الايطالي ريثما تهربين بجلدك من رصاصه

ولكن الايطالي اسرع وضغط على زناد المسدس ، فاذا هــو يقر دون أن ينطلق منه شيء ، فالقى به على الارض ساخطا ، بينما ضحك بوارو وقال :

ــ اكنت تعتقــــد يا هاستنج أن المسدس محشو بالرصاص ؟ ! لقد أفرغت الرصاص منه هذه الليلة..

وفي تلك اللحظــة سمعنــا طرقا عنيفــا على البــاب ، فأسرعت الى فتحه ، واذا المفتش جاب يقبــل ومعه زوج السيدة الســا ، فسأله بوارو قائلا :

ــ هل قبضت على الباقين ..؟!

ــ نعم .. وان صــديقى مدير ادارة مكافحة الجاسوسية فيأمريكا في طريقــه الى هنــا الآن ... هل حصلت على المستندات ؟!

فألقى بوارو اليه بالكيس المخملي الأسود ، ثم قال :

ــ نعم ... في هذا الكيس ... وهذه هي مس الســا هاردت التى كانت تقيم هنا منــذ ســتة اشهر باسم مسز روبنسون ..

وفي أثناء العودة الى البيت ، قال لي بوارو شارحا الامر :

ــ عنــدما جاءت الســا هاردت وزوجهــا الى انجلترا هاربين مــن انتقام العصابة المنافســة ، اتخــذا المســكن رقم ٤ بالطابق الثانى من عمارة مونتاجو تحت اسم مســتر ومسز روبنسون ، وذلك لشــيوع هذا الاسم في لندن ، وكانا يعرفان أن العصابة سترســل وراءهما أحد اعضائها للانتقام منهما واسترداد الأوراق المسروقة ، ولهذا استأجرا

ذلك البيت فى ضاحية سانت جون دود وجعلا المسكن رقم ٤ مصيدة لسيدة ، اية سيدة ، تدعى مسز روبنسون ، تكون نحاسية الشعر، زرقاء العينين شقراء البشرة، طويلة وفى سن الشباب

فهتفت قائلا وقد فهمت كل شيء:

ـ آه ... فهمت .. لكى يظن مندوب العصابة المنتقمة انها هى السا هاردت ، فيتسلل الى المسكن ويقضى عليها وعلى زوجها ويظفر بالمستندات المسروقة ...

ـ تماما .. ولهذا جعلا ايجار المسكن مغريا جدا.. وكلما حضرت للسكنى سيدة لا تنطبق عليها الأوصاف المطلوبة ... الاسم ... والشكل . ادعيا أن المسكن قد تم تأجيره ، وهكذا ، بعد ستة اشهر طوال، جاءت اليهما مسز روبنسون وزوجها ، وسرعان ما تم عقد الايجار ...

فأكملت له قائلا:

ـ ولولا اهتمامك بالامر ، ورغبتك فى ارضاء فضولك ، لنجح هذا الابطالى الليلة فى ذبح المسكينة مسز روبنسون صديقة صاحبى باركر ، وذبح زوجها أيضا ، ثم الهرب من انجلترا مطمئنا الى أنه انتقم من السا هاردت وزوجها ..

ثم ابتسمت وقلت :

ـ والعجيب أن مسز روبنسون وزوجها مستغرقان الآن فى النوم ، يأكلان الارز باللبن مع الملائكة ، ولا يشعران بشيء مما كان يدبر لهما.

ترجمة حسين القبانى

عدالة

حدث فى الهند ، منذبضعة أعوام ، أن اشترك أربعة من التجار فى صفقة قطن موضوع فى بالات . ولخوفهم من الفيران أن تتسرب الى القطن فى مخزنه فقد اشتروا قطا ، واتفقوا على أن لكل منهم ساقا من سيقانه

وفى ذات يوم أصيب القط فى ساقه اليسرى الخلفية فربطها صاحب هذه الساق برباط مبتل بالزيت . وصادف أن اقترب القط من موقد فى المخزن ، وامسكت النار برباط ساقه واشتعلت فانطلق يعدو ، ومر بين بالات القطن ، فاحترق المخزن جميعه

وثار التجار الثلاثة على رابعهم صاحب الساق المجروحة وطالبوه بقيمة ما لحقهم من الخسائر ، لانه لولا الساق المربوطة لما حدث الحريق

واصغى القاضى الى شكواهم والى دفاع الرجل الرابع ثم قال:

ـ حين احترق الرباط والقط الى جانب النار، لم يكن الرباط المحترق هو سبب النكبة ، ولكن النكبة حدثت حين انتقل القط من جانب الموقد الى حيث استقرت بالات القطن . والسيقان الثلاث السليمة هى التى حملت القط لأن القط لايمكن أن يسير على ساقه المصابة وعلى ذلك فصاحب هذه الساق المصابة غير مسؤول

من قصص البطولة العربية

سيف الله خالد بن الوليد

بقلم بكباشى السيد فرج

كتب الكتاب من رجال الادب والحرب والتاريخ عن خالد بن الوليد ، ومن هؤلاء الكتاب قدامى ومنهم معاصرون، كل منهم كتب من زاويته وأتى على الناحية التى تروق له أو تدخل فى اختصاصه ، ولكن شخصية خالد التى أمدت عشرات الأدباء والعسكريين والمؤرخين بمادة قوية دسمة ستبقى معينا يتزود منه عشرات وعشرات من الباحثين والمفكرين ، فى المستقبل القريب والبعيد

والعجيب فى أمر خالد أن عبقريته تزداد لمعانا كلما مضت السنون وتعاقبت الدهور ، بل انه كلما تكشف فى الحرب جديد كشف عن مأثرة لابن الوليد ، ذلك انه سبق نظراءه من القادة العسكريين بمئات السنين ، وأنه كان يتصرف فى معارك فجر الاسلام تصرف القادة الكبار فى عصر الآلات والحشود والحرب الشاملة ، وأنه كان نموذجا للقائد الاصيل قبل أن تعرف تقاليد القيادة وعلامات القادة العظام

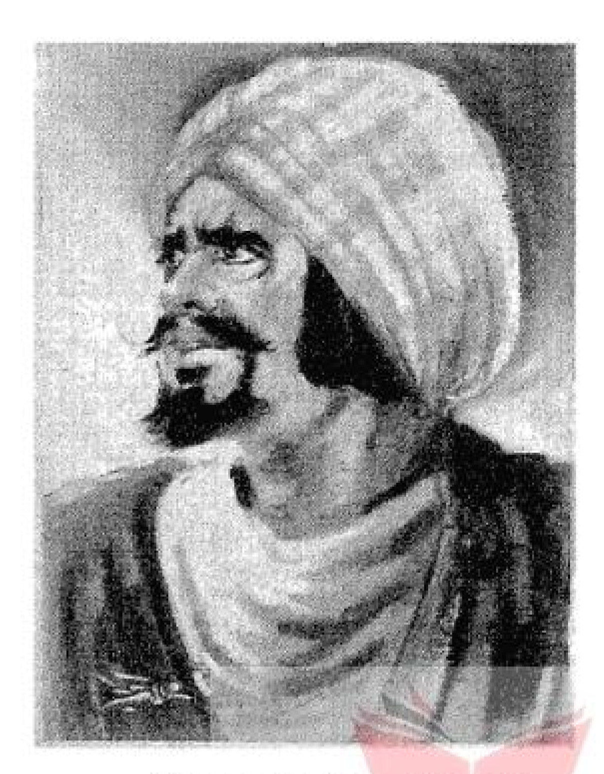
مدرسة البادية

كان خالد بن الوليد قائدا عبقريا، بشهادة العباقرة ، فقد كان موضع اعجاب النبى (ص) حتى قال : «انه سيف من سيوف الله » وقال عنه أبو بكر : « أعقمت النساء أن يلدن مثل خالد » ، وقال عمر : «قد أمر خالد نفسه »

نشأ خالد فى بنى مخزوم وكان والده من السادة المعدودين فى قريش، ولم يكن نور الاسلام قد أشرق ، فنشأ خالد فى الجاهلية وحارب فى صفوفها ثم أضاء الله قلبه بالاسلام فى شبابه . فصار سيفا من سيوف الله سله على المشركين

وقد عرف خالد الحرب يافعا وخاض غمارها بشجاعة فائقة وحارب ضد المسلمين فكان العدو المتمكن ثم حارب مستظلا براية الاسلام وقائدا لقوات المسلمين فأظهر من البراعة فى

خططه والشجاعة فى تنفيذها مايجعله فى مصاف عظماء القادة ، فخالد بن الوليد يجب أن يعتبر مثلا أعلى تتجه اليه دراسات شباب العرب فيجدون فى سيرته وصفاته وعبقريته خير مايمكن الاقتداء به ، والسير على منواله



خالد بن الوليد .. كما تخيله رسام الهلال

بطل « أحد »

نشأ خالد نشأة شباب البادية ، صحيح الجسم ، مهيب الطلعة ، متفوقا فى ركوب الخيل شجاعا مقداما ، وورث قيادة « الاعنة » وهى بمثابة قيادة الفرسان ، حتى أصبح قائد فرسان قريش فى وقعة أحد ضد المسلمين ، وقد أبدى فى هذه الوقعة براعة وجسارة ، فلما سنحت له فرصة ووجد فى صفوف المسلمين ثغرة قام بهجمة مضادة خاطفة فاخترق الجبهة ودار حولها وأحدث فى المسلمين خسائر فادحة فانقلب ميزان المعركة وانتقل النصر من عسكر الى عسكر وجرت معركة دامية رهيبة لكثرة ما سال فيها من دماء وما قضى بسببها من رجال ، حتى أشيع أن محمدا وأبابكر وعمر قتلوا وأن النصر انتهى فى جانب المشركين .. ولكن قوات المسلمين أفاقت من المفاجأة وحاربت بايمان وبسالة وتم لهم الفوز بعد عناء.

كذلك كان خالد مصدر قوة فى صفوف المشركين وكاد أن يحرز لقومه الغلبة فى معركة الخندق ، ثم دخل فى دين الله فكان ذلك بشيرا له بالمجد ، وواتته الفرصة لقيادة جيوش الاسلام فى غزوات كبرى أبدى فيها من مهارته وعبقريته ماجعله من عظماء القادة فى التاريخ

سيف الله

تلقى خالد من أخيه رسالة يدعوه

فيها للاسلام ، ويروى له أن رسول الله صلوات الله عليه قال : « مامثل خالد يجهله الاسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له ، ولقد مناه على غيره »

وأسلم خالد ، وقال :

ـ يارسول الله ، قد رأيت ماكنت أشهد من تلك المواطن عليك معاندا عن الحق ، فادع الله يغفرها لى

فأجابه النبى عليه السلام « أن الاسلام يجب ما كان قبله ، الحمد لله الذى هداك ، قد كنت أرى لك عقلا ، ورجوت أن لا يسلمك الا للخير »

وأصبح خالد فى صفوف المسلمين تصادفه جنود رفقائه بالامس فى جيوش المشركين فيرمونه ويرميهم ، حتى تم للاسلام النصر المبين ، ثم حارب خالد عرب الجزيرة وعرب العراق والشام ، وجيوش الفرس والروم فاتسع مجال قيادته وازداد اشراق عبقريته

القيادة البصيرة

كان أول قتال يشترك فيه خالد بعد اسلامه هو حملة « سرية مؤته » التى جردها الرسول عليه السلام الى البلقاء لتأديب المعتدين الغسانيين وفى هذه المعركة قتل القادة الثلاثة زيد ابن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحه فاجتمعت الكلمة على تنصيب خالد بن الوليد قائدا .. فنظر فاذا هى معركة متكافئة وقد منى المسلمون بالهزيمة وكثر عليهم أعداؤهم ، فلم تملكه فطرة المجازفة وانما ملكته فطرة القيادة البصيرة فاصطنع الاستعداد للهجوم وأوقع فى روع عدوه انه سيقاتل من غده ، فلما كان الغد كان جيش المسلمين قد قام بعملية انسحاب متقنة وارتداد مأمون ونجا مما كان قد ألم به من هزيمة وضياع

وقد أمن خالد جيشه عند انسحابه بقتال المؤخرة حتى يضمن له السلامة ، وأبلى فى ذلك القتال حتى اندقت فى يده تسعة سيوف وعرف من ذلك اليوم بلقبه الذى أضفاه عليه النبى وهو : « سيف الله »

غزوة حنين

نفرت قبائل همدان من هوازن وثقيف وجشم وقامت الى شق عصا الطاعة وأعدت العدة لمهاجمة المسلمين وولت قيادتها لفتى جرىء فى سن الثلاثين هو مالك بن عوف النفرى الذى خرج بالقبائل بكليتها ، أى برجالها ونسائها وأبنائها وممتلكاتها لكى يجعل المحاربين يتماسكون ذودا عن أهليهم وأموالهم ويقاتلون قتالا باسلا مستميتا .

وفى المعسكر الآخر ، كان خالد على طليعة الجيش فى مائة فارس

وجاء فارس (من المخابرات) يقول انه صعد جبلا « فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين »

فتبسم الرسول وقال : « تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله » . وأرسل « نقطة ملاحظة » فى أعلى الجبل ودعى أفرادها الى اليقظة ثم جاء اليوم الثانى فقال انه لم ير أحدا

من العدو ، فبعث الرسول مقدمة . وفجأة قام العدو من مكمنه الذى أحسن الاستتار فيه وهاجم بشدة وكسب الجولة الاولى من القتال بفرار الخيل والجمال ولحاق المشاة بهم وكادت الهزيمة تتم لولا أن تقدم الرسول بشخصه الكريم وثبت فى هذا الهول الجارف وأخذ زمام المعركة كلها فى يديه. فتجمع حوله المقاتلون واستبسلوا فى القتال ، وبدأوا الكر بعد الفر وهانت النفوس . وفى هذه المعركة سقط خالد مثقلا بالجراح

وقد أوشك المسلمون أن ينهزموا لاعتدادهم بكثرتهم وقلة مبالاتهم بعدوهم ، ومن ناحية فان عدوهم كان ماكرا بدأ يحشد الروح المعنوية الى أقصاها ، ثم استخدم المفاجأة فكانت له الغلبة وقد وصفت هذه المعركة فى القرآن الكريم «ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين »

وعلى الرغم من هذه الهزيمة ، التي كادت تودى بجيش المسلمين لولا أن تداركتها العناية ، لقى خالد تقدير النبى عليه السلام وثناءه فبارك له وواساه

حروب الردة

اشترك خالد فى حروب الردة من أوائلها الى نهاياتها ، وكانت البادية قد ارتدت عن الاسلام بعد وفاة محمد عليه الصلاة والسلام ووقفت المدينة ومكة وجيرتهما تدافع عن حياضها وعن عقيدتها ، فاخفقت هجمة المرتدين الاولى عن معقل الاسلام ، وكان عنصر المفاجأة مدار هذه المعركة، فكان المرتدون يتوقعون لقاء الجيش فى المدينة ولكن الخليفة كان قد خرج بمن معه فى الليل على تعبئة كاملة وهبط على المرتدين وهم على غير أهبة فلم يلبثوا حتى انهزموا وتفرقوا

ثم كان لخالد نصيب القيادة على الحملة الموجهة الى « بزاخة » لقتال المرتدين

وقد ودع الخليفة هذه الحملة فقال: « أيها الناس : سيروا على اسم الله وبركته ، فأميركم خالد بن الوليد »

وأسر الخليفة الى خالد بأوامره : « فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا عن الحملة فانى لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد وسر بالادلاء وقدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل ، وسر فى أصحابك على تعبئة جيدة .. واحرص على الموت توهب لك الحياة ، ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه ، واحترس من البيات فان للعرب غرة .. واذا لقيت أسدا وغطفان فبعضهم لك وبعضهم عليك، وبعضهم لا عليك ولا لك متربص السوء ينظر لمن تكون الدبرة فيميل مع من تكون له الغلبة .. سر على بركة الله »

أما جيش طلحة فقد امتاز بكثرة العدد والسلاح ، وباختيار الارض ، فهو فى موقف دفاعى ينتظر جيش خالد الذى يقطع الفيافى ، فلما التحم الجيشان ثبت طلحة وأصحابه ثبات

المستميت وكروا على المسلمين كرة عنيفة فكشفوا الميمنة ثم الميسرة حتى لاح لهم النصر ، وجاء بعض رجال خالد ينصحونه بالتراجع ليعتصم بجبال طيء ، فقال خالد : «لا أعتصم بغير الله »

هازم الفرس والروم

خرج العرب للقاء الفرس والروم، فكانت معركة أحد طرفيها اليقين والعزيمة ، وطرفها الآخر الكثرة والهيئة

حارب خالد الفرس في خمس عشرة وقعة لم يهزم ولم يخطيء ولم يفشل قط فى واحدة منها ، وكان يسير بجيشه أبدا على تعبئة كاملة فيقاتل عدوه حيث لقيه مفاجئا أو غير مفاجيء ، وكان ـ كما وصفه عمرو بن العاص ـ « فى أناة القطاة ووثبه الاسد » فلا يهمل الحيطة ولا يجعل التعويل كله على الشجاعة دون الحزم والحيلة

وكان خالد يعمل بمبادء الحرب ـ قبل نابليون بمئات السنين ـ فهو يكون فى كامل (الحشد) فى الزمان والمكان الحاسمين ، وهو لا يسرف فى استخدام رجاله ، فاذا كان الف رجل يغنون عن ألفين اكتفى بهم مطبقا مبدأ (الاقتصاد فى القوة) ، وهو يبعث العيون والطلائع ويرسل المقدمة أو يضع رجالا فى أعلى الجبل المحافظة قاصدا « الوقاية » وهو يقبل على الموت بروح هجومية غلابة لعلمه بأن النصر يطلب « بالاعمال التعرضية » ثم انه يوحى الى خصمه بغير ما ينتوى حتى يستخدم « المفاجأة »

ومما يذكر لخالد فى مقام الثقة بالنفس ، وهي من دعائم القيادة ، انه كتب لقائد الفرس قبل المعركة يخيره بين الاسلام أو الجزية أو الحرب ، ويقول : « جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »

فلما طلب قائد الفرس مبارزته نزل اليه خالد وصرعه فى الحال

وعندما التقى الجيشان انتصر العرب فى وقعة « ذات السلاسل » وهرب الفرس ، ثم اشتبكا فى وقعة الفار التى بلغ قتلى الفرس فيها ثلاثين ألفا وهرب الباقون ، وكان ذلك نصيب الخصوم ، فى وقائع «الوجه» و « اليس » و «الفراض» من وقائع حرب العراق التى قضت على نفوذ الشاهنشاه الاعظم !

وقال ابو بكر : « أعقمت النساء أن يلدن مثل خالد » ؟

وقال فى موضع آخر : « لانسين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد »

قاهر « هرقل »

خرج خالد على رأس عشرة آلاف محارب من الحيرة وقطع بادية العراق وهي مفازة لا يصاب فيها ماء ، مع مضلتها ، فقطع المسافة فى ثمانية عشر يوما ، وكان يطوى مسافة اليومين فى يوم واحد

وقد اختار خالد أطول الطرق وأشدها صعوبة وأبعدها عن تصور العدو ، لكى يضمن عنصر المفاجأة

ولكى لايتعرض لمعترض من أهل العمران على الطرق الاخرى الميسورة

وكانت المعركة الأولى في اجنادين والمعركة الكبرى في اليرموك ، وهى من أشهر الوقائع الفاصلة فى حروب العرب

ولا ريب أن هذه المعارك كانت بين ندين يختلفان في كثير ، ففى جانب كان رجال البادية البسطاء الشجعان الذين يقبلون على الموت ، وفى الجانب الاخر كان رجال القيصر الغارقون فى المناعم والملذات ، وقال خالد : « هذا يوم من أيام الله لاينبغى فيه الفخر ولا البغى ، اخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم ، فان هذا اليوم له مابعده » .

وهزمته الروم :

وبلغ خالد فى معركة اليرموك قمته العليا التى لا مرتقى بعدها لراق .. قمع فتنة الردة ، وضرب دولة الاكاسرة ، ووحد قيادة المسلمين ، وهزم الرومان ، وأصبح صاحب دور تاريخى يضعه بين عظماء القادة

وهو قائد لم تعوزه قط صفة من صفات القائد الكبير المفطور على النضال وهى الشجاعة والنشاط والجلد وحضور البديهة واليقظة وسرعة الملاحظة وقوة التأثير

وقد نفذ خالد مبادىء الحرب قبل أن يعرفها القادة في عهود المدنية الحديثة فاذا ذكرت أسماء الاسكندر وهانيبال وقيصر ونابليون .. فارجعوا الى تاريخ العرب واذكروا مع هؤلاء .. أو قبل هؤلاء .. خالد ابن الوليد

انها طبيعتى !

اتجه العقرب نحو الضفدعة القابعة على شاطىء النهر ، وحياها ثم قال لها :

ـ هل لك أن تحمليني على ظهرك حتى أستطيع الوصول الى الشاطىء الثاني ؟

ـ لن أفعل شيئا من ذلك ، فانك لن تتردد عن لدغى وأنا اسبح فى النهر فأموت غرقا

ـ لو أنى لدغتك وانت تسبحين فأغرقتك فانى سأغرق معك لا محالة أليس الامر كذلك؟ انك لاتفكرين تفكيرا سليما

ـ انها غباوة منى ولا ريب ، فتعال أحملك على ظهرى

واعتلى العقرب ظهر الضفدعة ، وبدأت تشق طريقها وسط مياه النهر

وفجأة احست الضفدعة بوخزة أليمة من العقرب ، فترنحت فى سباحتها ، ثم بدأت تهبط الى جوف الماء ، والى جانبها العقرب يهبط بدوره

واستدارت الضفدعة الى العقرب وقالت له وهى تحس بالسم يسرى فى أوصالها

ـ لم فعلت هذه الفعلة الشنيعة ؟ انك قلت انه ليس من العقل ولا الذكاء أن تلدغنى بسمك لئلا أغرق وتغرق معى .

ـ آسف يا عزيزتى ، ولكن كان يجب أن لا تنسى ان الامر ليس مرده الى العقل أو الذكاء . انها طبيعتى التى خلقت عليها

قصة زوجة وفية جيلة خلد زوجها وفاءها له ، ووفاؤه لهـــا باقامة ضريحهـــا الرائع

ممتاز محل

كان اسمها ارجوماند بانوبجوم ، غير انها اشتهرت فى ربوع الهنـد باسم ممتاز محل

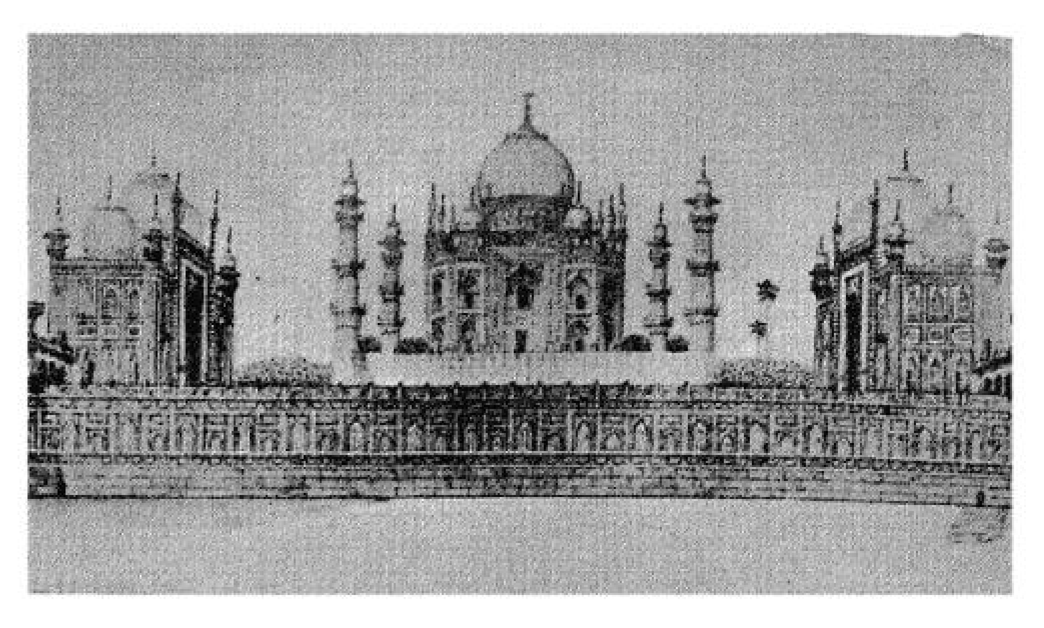
كانت زوجـة الامبراطور العظيم شاه جيهان ، وكانت رائعة الحسن فتانة الجمال ، سـاحرة اللحاظ ، دقيقة الأنف ، ممشـوقة القوام ، وكانت الى جانب هـذا الحسن الرائع الاخاذ زوجة مثالية فى حبها العظيم لزوجها ومليكها شاه جيهان ، وفى وفائها واخلاصها لهذا الزوج الكريم الذى هام بحبها كما هامت ، وفتن بلطف دلها كما فتنت ، وسبى قلبه سحر جمالها وفتنة حسنها .

غير ان الامبراطورة ممتاز محل لم تكن مجرد دمية جميلة ، او تمثال رائع الحسن ، بل كانت امبراطورة لها شهرتها التى طبقت انحاء الهند ، فاطلقوا عليها ذلك الاسم الذى بقى لها على الزمن ، وعرفت به فى كتب التاريخ ، « ممتاز محل »

وكان لها أثرها العظيم فى شهرة زوجها الامبراطور شاه جيهان سواء فى حياتها أم بعد مماتها ، فقد كانت خير عون له تدفعه الى خير السبل فى حكم شعبه ، وتوجهه ، مدفوعة بما يجيش فى قلبها من عطف على شعبها وحب له ورغبة فى اسعاده ، الى الطـريق السوى والعمل على توفير رغد العيش لشعبه

ثم خلدت اسمه واسـمها حين قضت نحبها عام ١٦٣١ فقد بكاها زوجها بعيون اربع ، وحزن لوفاتها الحزن الاكبر ، واحس انه فقد النجم الذى كان يهتدى به ، ودفعه حبه العظيم لهذه الزوجة المثالية ، ووفاؤه لذكراها ان يشيد لها ضريحا ، فبدأ فى تشييده عام ١٦٣١ عام وفاتها واستغرق فى بنائه عشرين عاما ، ويقـال ان ٢٠٫٠٠٠ عامل كانوا يشتغلون كل يوم فى تشييد هـذا الضريح، وتقدر قيمته بوجه التقريب ٣١٫٧ مليون روبية

لقد رغب الامبراطور شاه جيهان ان يكرمها بعد وفاتها كما كان يكرمها فى حياتها ، وان يبدى مبلغ اساه على فقدانها ، ومبلغ حزنه ولوعته ، فشيد ذلك الضريح الرائع الفريد فى حسنه فخلد به اسمها واسمه على مر الاعوام والاجيال ، بل خلد صفة « الوفاء » مجسما فى صورة ضريح



تاج محل من اشهر الاضرحة الاسلامية فى الهند

ضريح تاج محل

قد يكون فى الهند أبنية بالغة الضخامة والشهوق، ولكن تاج محل، وهو الاسم الذى اطلق على ذلك الضريح، يمتاز بما فيه من جمال وتناسق فى اجزائه يجعلان منه درة فى فن المعمار حتى وصفه بانه « قصيدة شعر بنيت من الحجارة »

وقد طبقت شهرة تاج محل جميع أرجاء العالم، اذ يعد أروع وأجمل ضريح شيد الى اليوم

والمدخل الرئيسى للضريح بناء ذو ثلاث طبقات قد نقشت جدرانه بآيات من القرآن الكريم، وتبدو حروف الكتابة كلها متناسقة

ومن المدخل الرئيسى ينساب طريق مرتفع مرصوف، فى وسطه جدول مائى ونافورات برنزية، وقد أقيم الضريح على شرفتين، السفلى منهما مشيدة من الاحجار الحمراء، اما الشرفة العليا فمن الرخام الابيض

ومساحة الشرفة الثانية ٣١٣ قدما مربعا، ومرصوفة على هيئة رقعة الشطرنج بالرخام الابيض والاسود، وفى كل ركن منها قامت مئذنة من ثلاث طبقات

والمدخل عقد نقشت عليه آيات من القرآن الكريم، والغرفة الوسطى على شكل مثمن الاضلاع، تعلوه قبة شاهقة، ويحتل القبر وسط هذه القاعة، وفى جانب آخر شيد قبر شاه جيهان

وكلا الضريحين مشيد من الرخام الابيض، ومحلى بالأحجار الكريمة ويقول المؤرخ فرجسون عن هذا الضريح :

« أن كل الزوايا والتفاصيل المعمارية الهامة محلاة فى كثرة عظيمة بالاحجار الكريمة مثل العقيق وأحجار الدم وأحجار اليشب وغيرها من الاحجار الثمينة الاخرى، مجموعة كلها فى أشكال متعددة كالاكاليل أو الطغراء أو النقش الشبكى، وهى

بالغة مبلغا عظيما من الجمال والحسن سواء فى تصميم وضعها او تناسق الوانها . والواقع انهـا صممت فى اروع واجمل وأندر اسلوب زخرف عرفه فن المعمار »

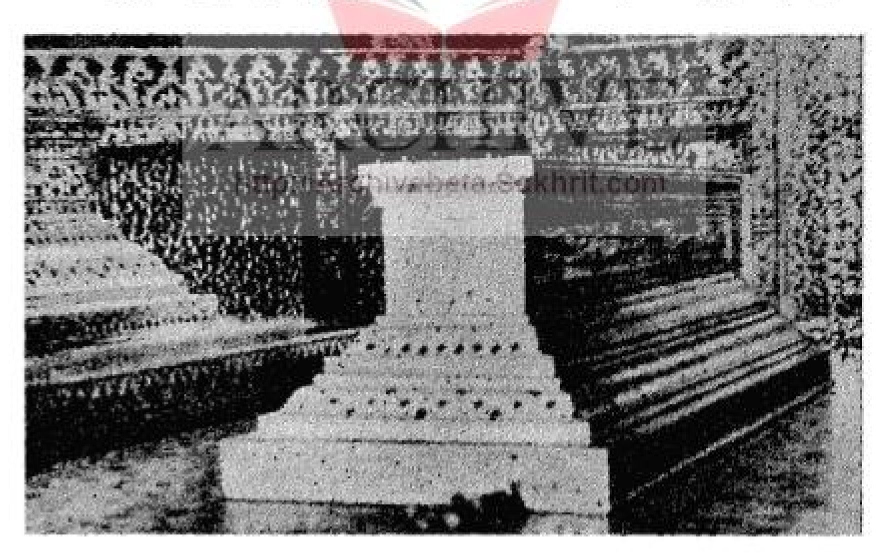
الزوج الوفى

وشاه جيهان ، ذلك الزوج الوفى لزوجته ولذكراها الكريمة ، هو الامبراطور الخامس من الاسرة المغولية ، وقد اعتلى العرش بعد وفاة ابيه عام ١٦٢٧ ، وبلغت قوة المغول ايام حكمه الذروة ، كما بلغ شعبه فى عهده اوج السعادة

وبعد حكمه العصر الذهبى لمدينة اجرا ولفن المعمار الهندى ، وقد شـيد عدة ابنية ، ضخمة رائعة ختمها بذلك الاثر العظيم «تاج محل» ومدينة اجرا منذ عهد شاه جيهان هى فى نظر السائحين مدينة «تاج محل» ففيها نماذج رائعة من فن المعمار المغولى بلغ اوج الروعة والبهاء .

فالقلعة باسوارها الضخمة المشيدة من الاحجار الحمراء تشتمل على درتين بديعتين مفصـولتين بابنية البلاط الملكى ، وفى الشمال مسجد اللؤلؤة (مسجد بيرل) الذى شيده شاه جيهـان ، وفى الجنوب قصر « جاهانجيرى » الذى شيده الملك اكبر ، الذى لا يضـاهى فى جمله وصفائه ودقة أجزائه ومادته وتصميم بنائه ، وهو مشيد بأحجار المرمر

ولو تركنا القلعة وعبونا النهر فاننا نجد درة اخرى فى قبر « اتماد ـ ادولاه » والد الامبراطورة زوجـة جاهانجير . وقد جمع هذا البناء بين عظمة ابنية الملك اكبر ، وما فى ابنية شاه جيهان من خيال شعرى



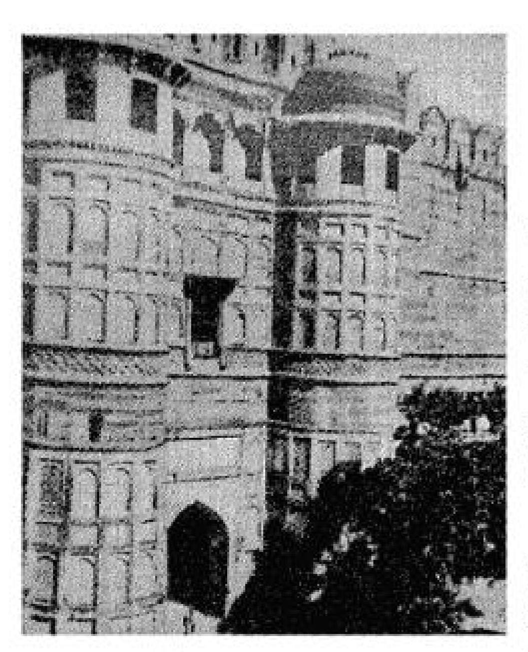
قبر ممتاز محل وهو محلى بالاحجار الكريمة المختلفة

الملك اكبر

كان الملك اكبر هو الذى أوحى لمن خلفه بتشييد تلك العمائر الشاهقة الرائعة فى مدينة اجرا ، ومدينة دلهى ، ولم تبلغ اجرا ذروة الشهرة الا حين تربع على عرش الملك ذلك الامبراطور العظيم « جلال الدين محمد اكبر » ويذكره المؤرخون بأنه أعظم أباطرة الهند المغول وأعقلهم ، وقد اعتلى العرش عام ١٥٥٦

وقد اشتهر الملك اكبر كرجل محارب ، وكفاتح لكثير من المدن والولايات الهندية ، ولكن شهرته الكبرى دارت حول قدرته الادارية العجيبة ، وعدله وانصافه . ومما يذكر له بالفخر انه جعل الضرائب على أسس وطيدة موحدة عادلة ، وأمر بمسح الاراضى بدقة ودون تمييز أومحاباة ، وحارب الغلاء المصطنع ، والمغالاة فى رفع الاسعار وشجع التجارة تشجيعا عظيما ، وقد ابتكر النظام الفيدرالى ، فكان المهراجات يأخذون أماكنهم الى جانب نبلاء المغول ، ويتدارسون معا الأمور الحربية

ولعل خير ما يسجله التاريخ من فضائل هذا الملك العظيم رغبته فى ازالة الخلافات الشديدة التى كانت سائدة بين أصحاب الاديان المختلفة كالاسلام والبوذية واليهودية وغيرها ، فألف لجنة من علماء هذه الاديان عسى ان يتفقوا على حلول لمواضع الخلاف ، وكان يحضر اجتماعاتهم ، وقد استطاع هذا الملك ، دون العلماء ، ان يكون لنفسه بعض الأفكار التى يمكن ان تجمع بين هذه الاديان أو تزيل ، على الاقل ، كثيرا من الآثار السيئة التى تنشأ من هذه الخلافات ، فلما لم يجمع العلماء على رأى ، نفض هذه اللجنة ، وأصدر أوامره وأحكامه التى خففت كثيرا من وطأة الخلافات ، فأطلق عليه اسم « حامى الانسانية » لانه كان قوى الاحتمال ، طويل الصبر ، عظيم العطف على شعبه



القلعة المشيدة فى مدينة اجرا باسوارها الضخمة المبنية من الاحجار الحمراء

وكان حفيده شاه جيهان خير خلف لجده العظيم ، فتابعه فى سياسته الحكيمة ، وفى تشييد أضخم العمائر ، وأروع الابنية . وكان ضريح تاج محل هو البناء الذى عنى به العناية كلها ، حتى أصبح هذا الضريح رمزا للوفاء العظيم .

(ا . م .)

هذا فصل من كتاب « عصفور من الشرق » الذى تصدره سلسلة كتاب الهلال للأستاذ توفيق الحكيم فى ٥ اغسطس الحالى

هيكل الحب

بقلم الاستاذ توفيق الحكيم



— « مدموازيل » !

.. الم يأت بعد ؟ ..

— من ؟ ..

— ذلك الفتى الذى يضع المعطف الاسود فوق منكبيه

— لست أدرى يا « كلوتيلد » ... لا اظن انى رايته اليوم

— انى اراه دائما جالسا فى القهوة التى امامنا يطيل النظر الى هذا الباب ! ..

— لعله مجنون ! ...

وعندئذ اقبل رجل فى سن الشباب جميل الهيئة ، دخل توا على عاملة شباك التذاكر ، من ذلك الباب الذى كتب عليه بخط كبير : « الدخول ممنوع » ، فما ان رأته « كلوتيلد » العجوز حتى تناولت مكنستها ، وهرولت الى عملها ، وهى تهمس :

— « الرئيس » ! ...

— من المجنون يا « سوزى » ؟ ... قالها ذلك الرجل ، بعد ان القى على الفتاة الجميلة نظرة لا يدرك معناها غيرها ! ... فهزت كتفيها ولم تجب ، فألح الرجل فى شدة وغضب :

— قلت لك أريد ان اعرف من المجنون ؟

فرفعت رأسها ، ونظرت اليه بعينين متسعتين فى لون الفيروز ، تزينهما اهداب طويلة شقراء ، ثم قالت فى صوت لا يدرك معناه الا هو :

— لست انت المقصود على اى حال ! ...

— من اذن ؟ ...

— فتى آخر كنا نتحدث عنه ! ..

— فتى !!

— لست اعرف بعد من يكون ، اعتاد ان يأتى كل يوم الى هذا الشباك ، فينتظر حتى ينفض الناس ويخلو المكان ، فيتقدم الى قائلا : « بونجور مدموازيل ! » فأرد عليه التحية ، فيقف يطيل الى النظر

صامتا ، ثم يتحرك قائلا : « أوردوار مدموازيل ! » ، ويمضي لشأنه ! . .

ــ أحد المعجبين من غير شك ! . .

قالها الرئيس الشاب في نبرة غريبة . فأجابته « سوزى » على الفور :

ــ بل مجنــون ... هذا كل اعتقادي ! ...

ــ حسبتك تعنيني انا ! ...

ــ انت ؟! لا يا عزيزي « هنرى » انت العقل بعينه ... انت اعقل مما ينبغي ! ... آه يا سيدي ، لقد تبين لى انك اعقل مما كنت اتصور .. هنيئا لك ! ...

قالتها « سوزى » فى اطراق ، وفى شيء من الغضب المكتوم ، واطرق هنرى ايضا ، وجعلت يده تعبث بدفتر التذاكر على حافة الشباك ، وطال بينهما صمت قطعته « كلوتيلد » حارسة المقاصير ، صائحة من جوف مقصورة :

ــ مسيو هنرى ! ... انعد مكان « الاوركستر » ! ..

فانتهز « هنرى » الفرصـة ! ليخرج من موقفه ، واسرع الى قاعة المسرح ، وتوسط صفوف المقاعد وصاح :

ــ أيتها الحمقاء « كلوتيلد » ! . الليـلة رواية « الارليزيه » ! ... اتريــدين « الارليزيه » بغـير موســيقى ؟! ... اعدى محل « الاوركستر » حالا أيتها الشمطاء !

وعاد السكون الى المكان ، وارادت « سوزى » أن تعود الى تلاوة قصة « لا جارسون » التى كانت تشغل وقتها الخالى بقراءتها كلمـا خفت وطأة العمل ، لكن شيئا فى رأسها حال بينها وبين الـكتاب ، فجعلت تنظر فى فضاء المكان دون أن تثبت بصرها فى شيء بعينه ، وحانت منها نظرة عارضة الى تمثال « فولتير » الرخامى امامها فى الردهة ، وعلى شفتيه تلك الابتسامة الســاخرة المشهورة ، فحركت اهدابها قليـلا وكانما راعها شيء منه ، لكنها الكت ، وهزت كتفها ، واخرجت من حقيبة اليد بجانبها علبة انيقة الشكل ومرآة صــغيرة ، وجعلت تطلى وجهها الجميل ، حتى ظهرت « كلوتيلد » تقول فى غضب :

ــ اسمعت شتائمه ؟! ...

فقالت « ســوزى » فى غير اكتراث :

ــ من ؟ ...

فأجابت العجوز وقـد استندت الى مكنستها :

ــ «الرئيس» ! .. اما رأيت سوء خلقه اليوم ؟! ... انه لا ريب قد حدث بينكما شيء يا « مدموازيل سوزى » ان خلقه لا يسوء الا يوم يكون الامر بينكما ...

فتنهدت « ســوزى » ، تنهيدا خفيفا ، وابتسمت ابتسامة فاترة ، ولم تجب ...

لبث « محسن » فى مجلسه من المقهى الذى أمام الاوديون ، يحتسى قدحا من القهوة ممزوجة باللبن ، ويتأمل تلك الاعمدة العظيمة التى يقوم عليها بناء المسرح الفخم ... ولا تبرح عيناه الباب ، كأنما هو باب فردوس ، لا يدرى اهو من داخليه ... ام كتب عليه أن يظل دونه

من الضالين ... ولم يقطع عليه تأمله غير حركة فتى وفتاة من اهل باريس ، يتعانقان خلفه ، ويقبل احدهما الآخر علانية ، كما اعتاد الباريسيون أن يفعلوا غير حافلين بعاذل او رقيب ! ... فازور « محسن » عنهما برأسه ، غير راض ان تعرض العواطف هذا العرض ، في الشوارع والطرقات ، فتبتذل وهى التى ينبغى لها أن تحفظ فى الصدور كما تحفظ اللآلىء فى الاصداف ... وبينما « محسن » فى تأمله اذا كف قد وضعت على كاهله فالتفت ، فرأى « أندريه » يبتسم له ويقول :

ـ ماذا تصنع هنا امام الاوديون ايها الفتى الشارد ؟! ...

ـ انت ؟ دائما انت ورائى هكذا !

ـ ماذا تفعل هنا ؟ اجب واسرع !

فتردد « محسن » قليلا ، ثم اشار الى المسرح قائلا :

ـ انى اتأمل هيكل الفن

فغمز « أندريه » باحدى عينيه وقال :

ـ بل قل هيكل الحب

ـ كلاهما واحد ... احدهما حال فى الآخر ، كالنور فى المصباح !

ـ أهى هنا

ـ هى هنا، ورواية « الارليزيه » هنا ... آه ! ...

ما اجملها وما اجمل الرواية ، نثرا وموسيقى ! ... هنا فى هذا الهيكل قد امتزجت صورتها فى نفسى بصدى انغام « الانترمتزو » ، ورقصة « الفراندول » ! ...

ـ الم تقدم بعد باقة الزهر او عطر « الهوبيجان » ؟ ...

ـ لا زهر ولا عطر ... انها اعظم قدرا عندى ، وأجل خطرا من أن اقدم لها شيئا ، أو أن أوجه اليها كلاما ! ...

فبدا العجب فى وجه الفرنسى ، وخيل اليه أنه يسمع ألغازا وطلاسم لا قبل له بفهمها ، فهز كتفيه مريحا نفسه :

ـ تلك ولا شك فلسفة شرقية !

ـ وانت كيف عثرت على ؟ ... وما حضورك هنا الساعة ، والعمل فى المصنع قائم على قدم وساق ! ..

ـ لا مصنع اليوم ولا قدم ولا ساق ... الم تقرأ صحف الظهر ؟ ... قد أضرب العمال فى مصانع « كوربفوا » ، أضربنا جميعا الى أن يعدوا بالنظر فى مطالبنا ... وأما العثور عليك ، ومعرفة مقرك الآن فليس من المعضلات ! ..

وابتسم « أندريه » فى خبث ، ثم مد يده الى صديقه قائلا :

ـ والآن هلم بنا ! ...

فنظر اليه الفتى قلقا :

ـ أين ؟

ـ نحضر اجتماع العمال ...

ـ وما شأنى أنا والعمال ؟ ...

ـ نزهة قصيرة ...

ـ نزهة ؟ آه يا سيدى ! ... بعض عطفك وكرمك ! .. أخبرنى متى ترحمنى من هذا الذى تسميه « نزهة قصيرة » ؟

ـ يسرنى دائما أن تذهب معى ..

ـ وأنا يسرنى دائما أن تذهب انت وحدك ... دعنى الآن فيما انا

فيه ... انى كما تعلم لست من العمال المتعطلين ... انك لترى ان لدى عملا ...

ـ فى اى مصنع ؟ ...

ـ هنا ...

واشار الفتى بيده الى المسرح ، فضحك « اندريه » وقال :

ـ اتسمى هذا عملا ؟! ... آه ... ايها العاشق الشرقى الذى ينفق ايامه فى قهوة يحلم ، وحبيبته على بعد خطوتين ! ..

سمع الفتى ذلك من صديقه الفرنسى ، فانتفض قائما ، وقد لمعت فى راسه كالبرق صور من الماضى ، فراى قهوة « الحاج شحاتة » فى حى السيدة زينب بالقاهرة ، وذكر جلوس عمه اليوزباشى « سليم » الساعات الطوال ببابها ، شاخصا الى دار محبوبته « سنية » ، آملا ان يلمح لون ثوبها الحريرى الاخضر ، خلف «المشربية» ، وادرك «محسن» لفوره انه يصنع الآن فى شارع « الاوديون » عين الذى كان يصنع سليم فى شارع « سلامة » منذ سنوات ... اهى المصادفة ؟ ... ام ان هذا فى دمه ؟ ... لا يدرى ، غير انه يحس قوة ترغمه على الجلوس قرب مكانها ، وانه يحب هذا القرب لذاته ...

وعاد «محسن» فجلس،واتسعت حدقتا الفرنسى دهشة وصاح :

ـ الا تستطيع ان تبرح هذا المكان ؟ ...

ـ انك ترى بعينيك انى لا استطيع

فاشار « اندريه » الى التياترو باصبعه :

ـ لماذا لا تذهب اليها فتفاتحها بما فى نفسك ؟ ...

ـ اانت مجنون ؟!

ـ انا المجنون ؟!!

لفظها الفرنسى وهو ينظر الى « محسن » ولا يجد كلمات يصفه بها ، ومضى الفتى يقول :

ـ يا عزيزى « اندريه » ! ... ما زال فى راسى قليل من الادراك ، يكفى لافهامى على الاقل ان مثل هذا الجمال ، فى شباك مفتوح للجمهور ، لايمكن ان يبقى حتى الآن فى انتظار قدوم هذا الصعلوك الشارد الذى هو انا ! ...

ـ تريد ان تقول ان لها عشاقا ؟

ـ الف عاشق وعاشق ، وقد لا يحصون عدا ... كل من حولها يحبها ، ذرات الهواء ، وهوام الفضاء ، ونجوم السماء ! ...

ـ كفى خيالا وشعرا ... تكلم فى الواقع ... هل اخبروك انها تحب احدا بعينه ؟ ...

ـ انها يا سيدى محبة محبوبة !

ـ كيف علمت ؟

ـ بالفراسة ...

فنضب معين الصبر من صدر الفرنسى وصاح :

ـ الفراسة ايها الكع ؟ وهذا بابها ، وهذه هى جالسة ، اكاد اراها من هنا ! ... اقسم انى لم ار مثل هذا فى حياتى ! ...

فلم يحفل « محسن » لصياحه ، ولم يبد حراكا ، غير انه ارسل نظرة الى باب المسرح ، وخطر له طيف « سليم » مرة اخرى ، وهو اليوم

زوج لاحدى قريباته ، واب لولدين صغيرين ، وقد شغل وظيفة عسكرية فى مصلحة خفر السواحل ، واصبح ذا جسم ممتلىء و «كرش محترم» ، اما شارباه القائمان فقد هوت بهما الايام ، واتخذت حياة ذلك الرجل الشكل المألوف فى حياة « الملايين » من هذا النمل البشرى ، وقد ذهبت ساعات جلوسه فى قهوة شحاتة ولم يبق لها أثر ظاهر فى حياته ! ... طغى الزمن ببحره الطامي على احلام الماضي ، واختفت صورة « سنية » من راس « سليم » ومع ذلك ، فهو ان بحث اليوم فى اغوار قلبه عن خير ساعات حياته لما وجد احلى ولا أشهى من تلك اللحظات ، التى كانت تطير هباء فى جلوس طويل ، بين اليأس والرجاء ، شاخص الابصار الى نافذة سنية ! ... ذلك الانتظار الحلو المر ، انتظار شىء جميل يرجو ان يحدث ولن يحدث ، هو كل ماظفر به قلب « سليم » ، وكل قلب على هذه الارض ، من احساسات عليا ، ماذا يهم ما يتم من لقاء بعد ذلك بين حبيبين ؟ ... ان خفقة القلب التى كانت تهز كل كيان « سليم » كلما خطف بصره خيال امرأة خلف المشربية ، وذلك الصبر الطويل على القهوة فى انتظار هذا الخيال ، هو كل جمال الحب ! ...

واسترسل « محسن » فى تصرفاته وتذكاراته ، فنسى «أندريه» وادرك الفرنسي القنوط ، فرفع يده فى حركة عصبية :

ـ لا ! ... حقيقة لا ... انى لا استطيع ان انفق عمرى جالسا هكذا ... ان الزمن شىء لا تعرفونه انتم معشر الشرقيين ، ولا يعنيكم امره ! ...

فقال محسن :

ـ لقد تحررنا منه ! ...

فحملق « أندريه » فى « محسن » مليا ، ثم صاح :

ـ آه ، ايها الشرقيون ... أأنتم بلهاء ام انتم حكماء ؟ .. هذا ما يحير ! ...

ـ تلك عبقريتنا !

****

أقوال مأثورة

من يترك الأمور المحققة ويتمسك بالأمور المشكوك فيها غبي أحمق

(هسيود)

إن قدرة الانسان لا يمكن أن تكون شيئاً مختلفاً عن روحه ، فاذا كانت روحه جادة مكبوحة ، كانت قدرته متزنة سليمة ، فاذا انعكست الآية وانحطت احداها تلوثت الأخرى وفسدت

(سينيكا)

قتلت رجلا فى سبيل حبها . وراحت قتيلة ذلك الحب . وتركت فى التاريخ اسما كتب باحرف حمراء

القاتلة المقتولة

عرفت الحب وهى فى الثالثة عشرة من العمر، ومارسته حتى النفس الاخير . وماتت فى الثالثة والثلاثين ، بعد أن عركت الرجال من كل صنف ونوع ، وذاقت كئوس الغرام من كل طعم ، ولم تتردد قط امام شىء فى سبيل الوصول الى الهدف الوحيد الذى تطلعت اليه طول حياتها فى اشباع نهمها من الحب

ولدت « مسالينا » فى عام ١٥ وماتت فى عام ٤٨ للميلاد . وهى ابنة « فاليريوس مسالا برباتوس » الذى أعطاها اسمها المشتق من اسمه : « فاليريا مسالينا »

وبرباتوس هذا ابن عم القائد « كلوديوس » الذى تبوأ عرش الامبراطورية الرومانية فى سنة ٤١

وتزوج مسالينا بعد أن طلق ، أو قتل، أربع زوجات قبلها !

كان عمرها تسع عشرة سنة لما التقت بابن عم أبيها الذى لم تكن تعرفه من قبل . ومن غرائب الصدف أنها التقت فى مكان واحد ، وفى وقت واحد ، باربعة رجال أعدتهم الاقدار ليلعبوا فى حياة هذه المرأة أدوارا مختلفة

الاول كلوديوس ، الذى أحبها وطلب أن يتزوجها فتزوجته بدون أن تشعر نحوه بأية عاطفة

وكايوس سيليوس، الذى أحبته فاستولت عليه ولكنها كانت سبب موته ، وماتت معه !

وفاليريوس ازياتيكوس ، الرجل الوحيد الذى أحبته مسالينا حبا صادقا حقيقيا ، مخلصا ، حبا لم

يكن مصدره الحواس وحدها ، بل أفرغت فيه المراة كل ما يمكن لامراة ان تغدقه من عواطف !

ورابع اولئك الرجال شاب مجهول خرجت معه بعد أن عرفته بساعة ، ووجد في اليوم التالي قتيلا أمام بيت العراف «سمعان» وهو الذى التقت عنده مسالينا بالرجال الاربعة

كان كلوديوس ، عم الامبراطور كاليجولا ، من أوفر قواد الامبراطورية حظا وجاها وثروة ، يوم التقى بابنة بريانوس ابن عمه ، وكانت أصغر منه بخمس وعشرين سنة ، ومع ذلك لم تمانع في قبوله زوجا لها ، لانها أدركت بثاقب بصرها أن هذا الزواج سيرفعها الى أوج الشهرة والمجد والسلطان

ولم تخطىء في اعتقادها . .

وكانت ، كما وصفها «جوفنال» جميلة الى حد لا يمكن للسان وصفه ولا للقلم رسمه ، كان جمالها يتحدى كل وصف . وكان جسمها يفوق في تنسيق تكوينه أجسام الآلهات

ولم يكن في وسع الطبيعة ان تفرغ في عينين واسعتين شعلة كتلك الشعلة التى كانت تتقد في عيني مسالينا . . ومع ذلك كان الناظر اليها ، في أية سنة من سني حياتها ، يظن نفسه امام طفلة بريئة ، امام صبية لم تعرف الشر من الخير بعد ، امام الطهر المجسم في عذراء ساذجة وذكية في آن واحد !

ذلك هو الوصف الذى تركه لنا المؤرخ اللاتيني الذى كتب سيرة مسالينا الحسناء

والذين كتبوا عن تلك المراة من مؤرخي عصرها يروون اشياء يكاد المرء يتردد في تصديقها

كان كلوديوس نفسه ، أى زوجها ، بعد أن رفعها الى العرش ، يقول عنها انها ولدت لكي تعيش مع الخنازير لا مع البشر !

وكانت هي من ناحيتها تقول عن زوجها الامبراطور : انه أشبه بالخنزير فكيف يمكن لاجمل امراة في الامبراطورية أن ترتاح الى حياتها مع هذا الحيوان ؟

وكان كلوديوس صادقا فيما قاله عن زوجته ، وكانت مسالينا صادقة فيما قالته عن زوجها !

ولا يصح أن نسمي « عشاقا » اولئك الرجال الذين كانت مسالينا تصطادهم بدون أن تعطيهم الفرصة ليصطادوها هم !

كانت تلتقطهم حسب الظروف والاحوال ، وتسألهم عن اسمائهم ولكنها تنساها في اليوم التالي ، ومن بين اولئك المحظوظين الذين ذاقوا طعم الغرام بين ذراعي الامبراطورة : « نرسيس » أو « نرجس » لانه كان يقوم بخدمتها ويسهر على راحتها ، والقائد « فيتيليوس » لانه كان يكرهها ويشتمها فأحبته لهذا السبب وأرادت ان تضم بين ذراعيها رجلا يكرهها ويجاهر بعدائها امام الناس . والثرى « بالاس » من أجل ثروته الطائلة . والشاب الضعيف « فينيكوس » لانه هزيل جبان . والشاب الآخر «سالينوس» لان شعره أملس ناعم . واحبت

رجالا آخرين من اجل اقدامهم المقوسة ، أو أكتافهم العريضة ، أو عيونهم الجاحظة ، أو شفاههم الغليظة أو غير ذلك مما كان يسترعى انتباهها وهى تنظر الى الرجال حولها

وكان كلوديوس يعرف ذلك ، ويسكت ! لأنه كان يحبها بالرغم من تهتكها ، وكان يخشاها بالرغم من انها امرأة ، وهو الامبراطور

فقد عرفت كيف تحتفظ بسيطرتها عليه ، ومن الاساليب التى اتبعتها لهذا الغرض ، جلب السرارى والجوارى من جميع انحاء الامبراطورية ، واهداؤهن الى الزوج ، الذى كان من ناحيته ، يبحث عن المتعة المجردة من العاطفة مثل الزوجة !

ولكن الحب سطا على قلب تلك المرأة ذات يوم فالقاها صريعة أمام رجل كان يعد من اشهر واجمل رجال عصره : ذلك هو فاليريوس لزياتيكوس ، البالغ من العمر اربعين سنة

كان فاليريوس فى هذه السن قد بلغ أوج المجد ، وأحرز انتصارات باهرة فى الحروب على رأس الجيش الرومانى . وجمع ثروة طائلة ، واعتزل الحياة فعاش فى قصره الذى أحاطه بحدائق غناء فيها أنواع لا تعد ولا تحصى من الازهار والطيور

ذلك هو الرجل الذى احبته مسالينا ، والذى تجاهل وجودها ولم يقابل حبها بمثله

يقول جوفنال ان ازياتيكوس كان « ينظر الى مسالينا بدون أن يراها » !

ولهذا ، فقد تضاعف حبها له :

ولما ادركت أن الرجل سوف يغلبها ببروده ، عزمت على قتله

واستصدرت من الامبراطور امرا بمحاكمته والحكم عليه واعدامه .. واستولت على قصره وحدائقه ولكنها لم تنزل فى القصر ، ولم تتمتع بجمال الحدائق ، بل قطعت الاشجار واقتلعت الازهار ، واطلقت الطيور من اقفاصها !

ارادت أن تنكل بممتلكات الرجل الذى احتقر حبها بعد أن نكلت به !

وانطلقت الى غراميات ومغامرات أخرى ، فقال عنها « سنيكوس » ان مسالينا كانت ، بعد انغماسها فى الملذات ، تسقط على الارض من التعب ، لا من الشبع !

وقالت هى مرة : « ان فى قلبى الى الحب ظمأ لا اعرف كيف ارويه »

ولعل اغرب ما اقدمت عليه هذه المرأة العجيبة ، حبها لكايوس سيليوس ، الذى كان الرومانيون يقولون عنه انه أجمل شاب فى الامبراطورية شرقا وغربا

وكان كايوس سيليوس غنيا ، محبوبا ، شجاعا ، فأطلق لسانه اكثر من مرة فى ذم الامبراطورة وانتقاد سلوكها ، ووصلت اخباره اليها ، فأوفدت اليه من يدعوه لمقابلتها فى قصرها

وظن سيليوس أن ساعته الاخيرة قد دنت .. واضطر الى الذهاب واذا به يجد الامبراطورة فى انتظاره

مستلقية على سريرها ..

وكان ذلك بدء غرام دفع بالعشيقين الى القبر !

فقد أرغمت مسالينا الرجل الذى اصبح عشيقها بعد ان كان عدوها ، على أن يطلق زوجته من اجلها

ولما تم لها ذلك ، ارادت أن تتخذ من سيليوس زوجا لها .. وعرضت ذلك على الامبراطور ، زوجهـــا الاصيل !

وتم الاتفاق بين الاثنين عـلى ما يلى : كان العرافون قد تنبـــاوا لمسالينا بأن الرجل الذى ستتزوجه سيموت مقتولا ! اذن ، فان مسالينا ستتزوج سيليوس زواجا صوريا ، لكى تخدع الاقدار ، فيموت هـــو مقتولا ، بدل ان يموت كلوديوس !

ووافق كلوديوس ! ولكنه وافق على أن يكون الزواج سريا ، وان لا يعرف به أحد !

غير ان مسالينا خدعته وغدرت به ، واحتفلت بالزواج جهارا أمام الناس ، وفى حضور مئـــات من المدعوين !

وغضب كلوديوس زوج الامبراطورة وغضب بالاس خادمها وعشيقها وغضب ايضا نرسيس العشيق الآخر

وغضب مع هؤلاء جميع العشاق وعددهم بالعشرات! واطلق كلوديوس ايديهم ليقتلوا المراة الخائنة والرجل الذى تزوجته

ولما ادرك سيليوس انه هالك ، قتل نفسه بيده

اما مسالينا ، المراة التى اقترفت جريمة القتل أكثر من مرة ، فانهـا جبنت امام الموت ولم تقدم عـلى الانتحار

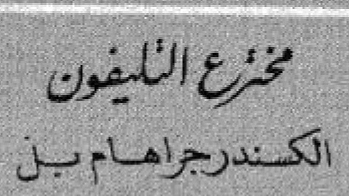
فقتلها احد الجنود نزولا على ارادة الامبراطور !

وماتت القاتلة مقتولة

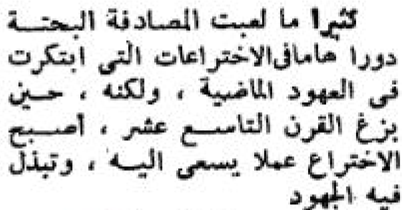
ح . ج



من قصص العلماء



مخترع التليفون
الكسندر جراهام بل



كثيرا ما لعبت المصادفة البحتة دورا هاما فى الاختراعات التى ابتكرت فى العهود الماضية ، ولكنه ، حين بزغ القرن التاسع عشر ، أصبح الاختراع عملا يسعى اليه ، وتبذل فيه الجهود

وقبيل بزوغ القرن التاسع عشر كان معروفا أن الصوت يحدث نتيجة ذبذبات هوائية ، فراح كثير من الناس يتساءلون الا يمكن أن ينتقل الصوت والذبذبات الهوائية من مكان الى مكان خلال الاسلاك بالكهرباء ؟

وكان هناك ناظر مدرسة ألمانى يدعى ريس (Reis) يفكر فى هذا الموضوع تفكيرا جديا ، فكان أول مافعله أن استخدم طبلة مصنوعة من الكلوديون تدق عليها موجات صوت ناشىء من آلة موسيقية . وقد استطاع فعلا أن ينقل الانغام الموسيقية ، بوسيلته البدائية ولكنه لم ينجح فى نقل الاصوات الآدمية

وبعد سنوات قليلة كان اليشا جراى (Elisha Gray) فى مدينة شيكاغو يقوم بمثل هذه التجارب فى القارة الامريكية . وكان طالبا فى الجامعة حين فكر فى هذا الاختراع، ثم بدأ يدرس الكهرباء بعد تخرجه ، واخترع أكثر من خمسين اختراعا، وكان فى محاولته اختراع التليفون أول من استخدم التغيرات فى التيار الثابت ، وأن يجعل التيار يعمل على المغناطيس الكهربى البعيد

وعلى غير علم من جراى كان رجل آخر يعمل فى نفس الوقت لحل مشكلة التليفون كان اسمه الكسندر جراهام بل Alexander Graham Bell ويعتبر أنه المخترع الفعلى للتليفون الحديث . ومما أعجبها مصادفة أن يذهب كل من جراى وبل لتسجيل اختراعهما فى يوم واحد هو يوم ١٤ فبراير من عام ١٨٧٦

▭

كان « بل » فى ذلك الوقت شابا فى التاسعة والعشرين من عمره ، من مواليد مدينة أدنبره ولكنه تلقى تعليمه فى لندن . وكان جده وأبوه واحد أعمامه وأخواه جميعا مدرسين لفن الخطابة والالقاء فى مختلف

الجامعات ، وقد درب الكسندر بل نفسه تدريبا خاصا فى نفس الفرع، وحين بلغ السادسة عشرة من عمره حصل على وظيفة مدرس فى الالقاء

ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره اسعده الحظ بمقابلة رجلين كان لهما اعمق الاثر فى مستقبله ، كان اولهما السير تشارلز هويتستون ، وكانت له شهرة عظيمة فى مسائل التلغراف، وكان ثانيهما الكسندر اليس الذى كان خبيرا فى الصوت والذى اوضح لالكسندر بل كيف ان شوكة التنغيم يمكن ان تدوم ذبذبتها بقوة المغناطيس الكهربائى، وكيف ان انغام عدة شوكات للتنغيم يمكن ان تختلط ويتالف منها مايشبه الصوت الانسانى

وساءل «بل» نفسه بعد ذلك ، هل من المستطاع انشاء نوع من التلغراف الموسيقى يرسل انغاما موسيقية مختلفة من خلال سلك بواسطة الكهرباء

وكان السل داء وبيلا فى اسرة «بل» ، وقد قضى على اثنين من اخوته ، فبادر طبيب الاسرة الى نصح «بل» بالابتعاد عن جو انجلترا وتغييره بجو آخر ، فرحل الى كندا وبدا يعلم الصم البكم ، فنجح فى عمله نجاحا عظيما حمل احدى مدارس مدينة بوسطن أن تدعوه اليها ليتولى تعليم طلبتها « الصم البكم ». وفى هذه المدينة بلغ فى عمله من النجاح مبلغا دفعه الى انشاء مدرسة خاصة به . وكان من بين طلبته ابن رجل يدعى مستر توماس ساندرز ، وكان رجلا مشتغلا بالعلوم، فسمح لبل أن يشغل مخزنا أرضيا فى منزله ويستخدمه كورشة ، وفى هذه الغرفة انهمك بل فى تحقيق فكرته واختراع تلغراف موسيقى ، وكان هذا هدفه الاكبر ، غير ان نيته تطورت بعد فترة وأصبح هدفه غير مقصور على ارسال الالحان الموسيقية لانه كان قد اقتنع كل الاقتناع ان فى الاستطاعة نقل الصوت الانسانى من مكان الى مكان

ان دراساته قد علمته انه يستطيع أن يجعل الاصوات تطبع صورها على زجاج مدخن . فكانت بداية دفعته الى دراسة الطريقة التى تتلقى بها الاذن الآدمية مختلف الاصوات ، فعرف كيف ان امواج الصوت تصطدم بطبلة الاذن الرقيقة ، وتنقل من خلال العظام الاكثر سمكا والموجودة وراء الاذن . فشرع على الفور فى صنع زوج من طبلات الاذن الصناعية من صفائح معدنية رقيقة جدا ، ووصلها بسلك مكهرب . وظل يثابر حتى استطاع أن يتوصل الى « تليفونه »

□

وكان «بل» كغيره من المخترعين يقضى كل وقته فى القيام بتجاربه ، واهمل بطبيعة الحال عمله الذى يرتزق منه ، فلم يبق لديه الا تلميذان اثنان ، واصبح مفلسا لا يملك مالا ، وزاد الطين بلة انه كان قد تزوج واصبح الموقف خطيرا حتى طاف بذهنه ان يتنحى عن ابحاثه العلمية ، وان يكرس وقته لعمل يستطيع ان يرتزق منه . ولانه احتار فى امره ، ولم يعرف لنفسه وجهة يتجه اليها،

فقد لجأ الى البروفسور جوزيف هنري الذي كان يعد في ذلك الوقت اعظم الخبراء في الكهرباء في امريكا ، وافضى اليه بما فعله وما وصل اليه في ابحاثه ، وطلب منه أن يبدي رأيه وهل عمله جدير بالاستمرار فيه فقال له البروفسور دون تردد :

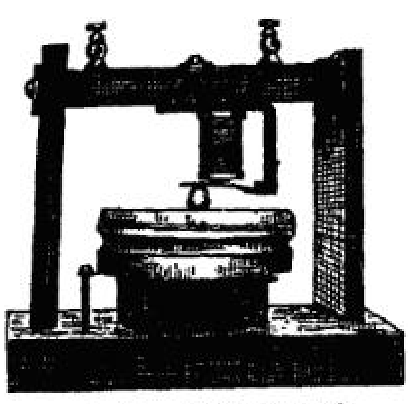
ــ بالتأكيد ، يجب أن تستمر في عملك

ــ ولكني لست ملما بعلم الكهرباء

ــ تستطيع ان تحصل عليه ، يجب أن تحصل عليه ، لانك في سبيل الوصول الى اختراع عظيم

ولشد ما اغتبط بل بهذا التقدير الكبير والتشجيع العظيم ، فعاد الى داره ، وعكف ليلا ونهارا على دراسة الكهرباء ، ثم عاونه بعض الاصدقاء بالمال ، فاستأجر ورشة من رجل يدعى تشارلز وليامز ، واستأجر صبيا يساعده اسمه توماس واطسون ، عاونه في عمل الاسطوانتين المهتزتين اللتين كان يريد صنعهما ووصل بين الاسطوانتين بسلك امتد من الورشة الى غرفة ملحقة بالورشة

وفي اصيل يوم ٢ يونيو عام ١٨٧٥ كان «بل» منكبا على احدى الاسطوانتين المتصلة بطرف من طرفي السلك ، واذا به فجأة يسمع صوتا يصل الى اذنه واضحا جليا ، فهرع الى الغرفة الاخرى وصاح بمساعده « اطرق هذه القصبة مرة اخرى يا واطسون» وقفل راجعا الى الغرفة الاولى ، وهناك سمع الصوت مرة اخرى ، فعاد الى الورشة ووجهه محتقن من فرط الاهتياج وقال لمساعده : لا تغير اي شيء ، ودعني



اول تليفون اخترعه جراهام بل

اولا ارى ماذا كنت تفعل»

وشرح واطسون ما كان يفعله ، ان الاطراف «الواصلة الفاصلة» للياي الناقل قد اختلط بعضها ببعض ، وكان كل مافعله واطسون انه طرق ذلك الياي ، وكان الياي بطبيعة الحال قد تمغنط ، وبذبذبته فوق قائم المغناطيس ارسل الذبذبة من خلال السلك في اللحظة التي كان بل لحسن حظه منكبا على الاسطوانة الاخرى ويستمع في الطرف الآخر

□

كانت هذه هي البداية ، ولكن شهورا عديدة انقضت في كد متواصل حتى استطاع بل في مارس ١٨٧٦ أن يجعل الجهاز يتكلم

وكان واطسون ذات يوم واقفا في الورشة حين سمع صوتا آتيا اليه من الاسطوانة الموجودة الى جانبه يقول له «واطسون ، اصعد الى فاني في حاجة اليك» . وقد قال واطسون بعد ذلك انه لم يصعد السلم بمثل تلك السرعة التي صعد بها في ذلك

اليوم تلبية لاول نداء تليفوني سمعه، وصاح وهو مندفع الى الغرفة التى كان فيها بل انى استطيع ان اسمعك انى مستطيع ان اسمع الكلمات»

وفى عام ١٨٧٦ اقيم المعرض المئوى فى فيلادلفيا ، ورأى بل كما رأى أنصاره ومؤيدوه أن هذه هى أعظم فرصة ليعلن للعالم أجمع عن اكتشافه الجديد . وكان من بين مؤيديه رجل يدعى مستر هابارد الذى تمكن بنفوذه أن يحصل على ترخيص يبيح لبل عرض تليفونه فى قسم التعليم ، وكان بل فى ذلك الوقت لايملك شروى نقير، ولم يكن معه من المال مايشترى به تذكرة سفر الى فيلادلفيا ،ولهذا بقى فى بوسطن يبحث عن طلبة بكم صم لتعليمهم ، ومكث المعرض مفتوحا لمدة ستة اسابيع،وما من كلمة واحدة قيلت فى خلاله عن التليفون ، وكان واضحا أنه ما من أحد قد لاحظه او اهتم بالسؤال عنه ، ولم تشر اليه الصحافة بلفظ واحد

وبدافع من اليأس العميق استقل بل القطار دون ان تشترى تذكرة سفر ، واستطاع اخيرا ان يصل الى فيلادلفيا . ولما التقى هناك بصديقه مستر هابارد : علم منه أنه دبر الامر ليفحص الحكام جهاز التليفون فى اليوم التالى ، فانتظر بل لحظة الحكم الموعودة على احر من الجمر

وكان اليوم شديد الحرارة ، فلم يكن الحكام مبالين للسعى الشاق ، فلما حلت الساعة السابعة رآهم بل قادمين نحوه . والتقط واحد منهم سماعة التليفون والقى نظرة عليها ، ثم اعادها الى مكانها فى صمت

وتبين بل ان الحكام مجهدون وجائعون ، وانهم متلهفون للرحيل باسرع مايمكن ، فهبط قلبه

فى تلك اللحظة الحاسمة فى حياة بل وتاريخ جهازه الجديد ، اقبل رجل نحيل قد عض على ناجذبه ، وكان اسمر البشرة ، ابيض الشعر، ومن ورائه بعض اتباعه . وتقدم نحو بل ومد يده وقال فى لغة انجليزية سليمة تخالطها لكنة أجنبية طفيفة :

ـ بروفسور بل ، يسعدنى ان أراك مرة اخرى

وكاد بل ينهالك على نفسه،ولكنه تماسك وانحنى فى اجلال وقال :

ـ عطف جميل من جلالتكم ان تذكرونى

كان القادم هو الامبراطور دوم بدروم ، امبراطور البرازيل . وكان قد سبق له زيارة مدرسة بل لتعليم الصم والبكم . وسأله الامبراطور

ـ ما هو اختراعك هذا ؟

وبينما كان بل يشرح للامبراطور اختراعه ، تجمع حولهما رهط كبير، ولم ينح لمخترع قبله مثل هذه الفرصة الذهبية للاعلان عن اختراعه. وقد استغل بل هذه الفرصة خير استغلال بصوته الرقيق النبرات ، والقائه البديع

وبلغ من اهتمام الامبراطور أن تقدم نحو الجهاز فى حماسة وقال :

ـ لابد لى من تجربته

ووضع السماعة على اذنه،وذهب بل الى ناقل الصوت،وسرعان ماصاح الامبراطور بقوله :



« وضع الامبراطور السماعة على اذنه وصاح : « يا الهى انه يتكلم »

ـ يا آلهي ! انه يتكلم

وبرز من بين الجموع في تلك اللحظة الدقيقة البروفسور جوزيف هنرى الذى شجع بل على المضى فى ابحاثه وفى اتمام اختراعه ، وجرب التليفون بدوره ، ولشدما ذهل ودهش . وكذلك كان حال الكثيرين

وفى اليوم التالى كان التليفون هو قبلة كل الوافدين الى المعرض ، وسرعان مانقل من مكانه الضيق الى مركز ممتاز فى المعرض

ومنحه الحكام شهادتهم

وفى خلال اسبوع واحد أصبح بل أحد مشاهير الرجال فى امريكا بعد أن أفسحت الصحف صدرها لوصف ذلك الاختراع الجديد

ولم يكن بل يفهم كثيرا أو قليلا فى المسائل التجارية ، ولهذا تولى صديقه المستر هاباره الناحية التجارية لهذا الاختراع ، وما كاد يحل شهر أغسطس سنة ١٨٧٧ حتى تكونت «شركة تليفون بل» واصبح فى امريكا ٨٠٠ جهاز تليفونى

ودارت منافسة عنيفة بين هذه الشركة وبين «شركة الاتحاد الغربية» التى كانت تستعين باديسون المخترع المشهور ، ودام الكفاح فترة طويلة من الزمن ، وكادت شركة بل تقضى عليها ، ولكن أصدر القضاء أخيرا حكمه لصالح شركة بل فارتفع سعر أسهمها ارتفاعا خياليا ، وسرعان ما بادر بل واصدقاؤه الى بيع أسهمهم

واعتزل بل العمل بعد أن جنى أرباحا طائلة

[عن كتاب الاختراع]



عرف فى التاريخ باسم «فيكونت لاتود»

ولكن الحقيقة انه لم يكن اسمه « لاتود » ولم يكن يحمل لقب « فيكونت »

فالاسم الذى عرف به فى التاريخ هو فى ذاته مغامرة جريئة وافتراء على الحقيقة !

ولد فى سنة ١٧٢٥ فى بلدة صغيرة من اب مجهول ! وقيد اسمه فى مكتب التسجيل « جان هنرى »

اما امه ، فقد طردها اهلها بعد ان ولدته وانفضح أمرها ؛ فجعلت تشتغل لتعيش وتربى طفلها ، فتمكنت من الانفاق عليه فى المدارس فخرج منها وفى جعبته ما يكفى من المعرفة

كان فى السابعة عشرة من العمر، فالتحق كمساعد لاحد اطباء الجيش الفرنسي فى الحملة الزاحفة فى ذلك الوقت على هولندا ، واكتسب شيئا من التمرين فى اعمال الاسعاف الطبى

واراد ان يتخذ لنفسه اسما كاملا فسمى نفسه « جان هنرى دازى » وكلمة « دازى » الاخيرة مقتبسة عن الاسمين الاولين

وبهذا الاسم : « دازى » وصل الى باريس فى سنة ١٧٤٨ ، ومعه مبلغ ضئيل من المال اقتصده أيام الخدمة فى الجيش أو حصل عليه بأساليب مجهولة ، وراح ينفق عن سعة ، ويجذب على الخصوص نساء الطبقة الراقية فى الاوساط القريبة من الحاشية الملكية

لكنه انفق المال بلا حساب .. الى حد انه أصبح فى وقت قريب مفلسا تماما ، فهجر حياة البذخ بالرغم منه ، وعاش مع احد اصدقاء السوء فى غرفة حقيرة ، وصار يكتب الى أمه المسكينة لكى تمده بالمساعدة ، بدل أن يتعهد هو بالانفاق عليها

وكانت المرأة تبعث اليه بنصف ما تتقاضاه من عملها كخادمة !.. وكان هو يتظاهر أمام الناس بأنه من الاثرياء النبلاء !

وخطر له وهو مقيم مع صديقه، المعدم مثله ، أن يقوم بعملية نصب تملأ جيوبه بالمال من جديد ، فكتب الى قيادة الجيش الفرنسي فى هولندا يقول انه ، لما كان مساعدا لطبيب فى أحدى فرق الجيش ، اعتدى عليه اثنان من الجنود وسرقوا منه مبلغا كبيرا من المال، وطلب من القيادة رده اليه

ولكن خطابه هذا ظل بدون رد ! فبحث عن شىء آخر ..

كانت مدام دى بومبادور ، خليلة الملك لويس الخامس عشر فى سنة ١٧٤٩ ، قد استصدرت أمرا باقصاء واحد من خصومها ، الوزير موربا ، ونفيه من البلاد . فثار عليها الحزب المناصر للوزير ، وكانت المرأة تعيش فى خوف دائم من الاعتداء على حياتها

فكر صاحبنا فى هذه الحالة ، وفى استغلالها !

اشترى قطعا من الزجاج تبعث صوتا اذا احتك بعضها ببعض ، ووضع ذلك فى علبة صغيرة ، ورش عليها بعض المساحيق، ولفها فى طرد وارسلها بعنوان المركيزة دى بومبادور وكتب على الطرد : « الرجاء فتح هذا الطرد فى خلوة ! »

وذهب هو من ناحيته الى قصر فرساى حيث تقيم المركيزة ، وحاول أن يدخل ولكن الحراس منعوه ، ولكنه تمكن من مقابلة احد رؤساء الخدم ، فروى على مسامعه القصة التى اختلق موضوعها :

قال انه كان يمر فى الحديقة فرأى رجلين جالسين على مقعد وسمعهما يتحدثان ، فاقترب منهما وفهم انهما ينويان اغتيال المركيزة، ونهض احدهما والقى فى صندوق البريد علبة صغيرة ! وقد أسرع هو إلى القصر لينبه المركيزة الى ان هناك مؤامرة لاغتيالها

هذا مارواه الشاب لرئيس الخدم وهذا حمله الى رؤسائه

ووصل الطرد ، وفتحه الطبيب الاول، ولم يحدث انفجار، وفحصت المساحيق فاذا بها غير ضارة ، ولكن المحققين قرروا ان مرسل الطرد كانت نيته الاغتيال ، وانه اخطأ فى اعداد اداة القتل !

وامر الملك باجراء تحقيق لمعرفة مرسل الطرد ، ودعى « دازى » الى القصر مع صديقه الذى يقيم معه، واسمه « بنجى » وادرك القاضى المحقق أن الرجلين هما اللذان اعدا هذه المسرحية ، وارسلهما الى سجن الباستيل !



لوحة رائعة لمدام دى بومبادور ، خليلة الملك لويس الخامس عشر

كان ذلك فى ٢ مايو ١٧٤٠، ومنذ ذلك اليوم أصبح دازى نزيل السجن ، وقضى فيه سنوات لانهاية لها ..

بقى فى السجن ٣٥ سنة بدون أن يحاكم أو يحكم عليه !

وكان فى بادىء الامر قد طلب منه المحقق سان مارس ان يكتب قصته ويوقع عليها ، ففعل الشاب بدون أن يفطن الى الفخ .. وقورن خطه بالخط الذى كتب به عنوان الطرد والعبارات المدونة عليه ، فاذا بالخطين متشابهين

وغير الشاب أقواله اكثر من مرة ، فاعترف ثم انكر ، وكذب ثم عدل عن الكذب وقال الحقيقة ولكنه عاد فأنكرها .. وامام هذا التناقض تركه فى السجن .. وافرج المحققون عن زميله بنجى !

وبدأ السجين يكتب الرسائل ويبعث بها الى الناس بكثرة، وكان اذا ما شح الحبر عنده ، يكتب بدمه !

وبدأ يكتب « مذكراته » وهى مجموعة عجيبة من الاقوال المتباينة فى العلم والفلسفة والادب والاجتماع واللصوصية !

ويتضح من الفصول الاولى من

مذكراته أن ادارة السجن كانت تعامله معاملة حسنة ، لان المشرفين على التحقيق كانوا يأملون ان يعترف الرجل! ويذكر لهم أسماء الاشخاص الذين حرضوه على محاولة قتل المركيزة ، أو الذين اشتركوا معه في المؤامرة لاغتيال المرأة الحسناء .. اذ انهم كلهم كانوا يعتقدون أن هناك حقا مؤامرة لاغتيال المركيزة !

كان طعامه في السجن لذيذا وغزيرا . وكان يتمتع بحرية واسعة في الخروج من غرفته والبقاء في الحوش والحديقة .. ثم نقلوه من الباستيل الى قلعة فلنسين، حيث انزلوه في أحسن غرفة ، وسمحوا له بنزهة يومية لمدة ساعتين ، ولكنه كان يشكو ويتململ ، وطلب من مدير السجن أن يسمح له بأن يكتب رسالة الى المركيزة دي بومبادور نفسها ، فسمح له وتعهد بأن يوصل الرسالة الى الحسناء صديقة الملك .. وكتب دازي رسالة قال فيها :

« سيدتي

« اذا كان الشقاء الذي أعانيه بتأثير الجوع قد دفعني الى ارتكاب خطأ في حق شخصك العزيز ، فلم يكن ذلك بقصد الحاق أي ضرر بك، كوني واثقة . واذا أرادت العناية الالهية أن تجعلك اليوم تصدقين انني تائب اطلب الغفران، ولو علمت انني أذرف الدموع منذ مائة وثمانية وثمانين يوما بلا انقطاع، أمام قضبان الابواب الحديدية ، اذن يا سيدتي لاشفقت على ..

« خففي يا سيدتي غضبك ! ولا بد أن يكافئك الله فيما بعد ، وفي وسعك أن تنقذيني مما انا فيه ، لانك صاحبة الكلمة العليا لدى أعظم ملك في العالم ..

« اغفري ، سامحيني ، وانا خادمك المطيع ! »

هذا أهم ما جاء في الرسالة . ولكن المركيزة لم ترد عليها . فكتب مرة ثانية يقول للحسناء انه لم يقدم على ما فعل الا حبا بها ورغبة منه في اطلاعها على ما يفعله الناس ضدها ، ولكنها لم ترد أيضا على هذه الرسالة ..

فهرب من السجن !

هرب من الباب الكبير المفتوح أمامه بدون أن يفطن اليه الحراس ! وكان ذلك في سنة ١٧٥٠ .

مشى في شوارع باريس والبوليس يبحث عنه في كل مكان .. مشى بثياب السجن ، بدون تنكر ، ووصل الى بيت صديقه بنجي الذي رفض أن يستقبله !

الى اين يذهب ؟

الى بيت امرأة عرفها يوم كان في جيبه مال فاته ، واتفقت مع نساء أخريات كن يقمن معها على إبقائه مختبئا بعيدا عن الانظار .. ولكنه لم يتذرع بالحذر !

خرج من البيت فعرفه أحد رجال الشرطة .. واعتقل وأعيد الى السجن !

وكتب رسالة الى المركيزة حشاها

فى هذه المرة بالشتائم ، فحكم عليه بان يحبس فى زنزانة ضيقة لمدة سنة ونصف سنة !

ولما خرج من الزنزانة بعد قضاء العقوبة ، وضع فى غرفة واحدة مع سجين آخر، فتشاجر معه ،وضربه رفيقه بسكين فجرحه جرحاً بليغاً

وفرق الحراس بينهما ، ولكن ادارة السجن منعت الحبر والورق عن دازى ، فجعل يكتب بدمه على قطع من ثوب !

أرسل خطابات الى الملك وصديقته والوزراء والقواد وادارة السجن .. لم يرد عليه أحد ، فتصنع الجنون! واتفق مع رفيقه الذى جرحه واسمه « الليجر » على الاقامة معاً فى حجرة واحدة ، وجعلا يعدان المدة للهرب

وفى ٢٥ فبراير ١٧٥٦ ، تمكن السجينان من الخروج من الباستيل بان صعدا الى السطح متسلقين مدخنة الموقد ، ونزلا الى خارج الاسوار بواسطة سلم صنعاه من الاغطية والثياب .. وقضيا يومين عند صاحب حانة كان دازى يعرفه ثم تسللا الى خارج الحدود ووصلا الى بلجيكا . وهناك كتب «الليجر» رسالة الى المركيزة كلها شتائم .. فطارده البوليس وقبض عليه ... وهرب دازى الى هولندا حيث وجد عملاً فى مدينة امستردام

وكان البوليس يجد فى اثر دازى وتنكر واحد من المفتشين فى ثياب تاجر أرمنى ، وساعده الحظ فعثر على السجين الهارب واعتقله : اذ أن سلطة ملك فرنسا فى ذلك الوقت كانت تشمل هولندا وبلجيكا

واعيد السجين الى سجنه ، الى الباستيل

▭

واستأنف الكتابة .. ارسل خطابات بالعشرات والمئات .. قص على مدام بومبادور ، التى سجن من اجلها ، كل ما عاناه من متاعب وعرفه من حرمان

وارسل اليها ذات يوم يمامتين كانتا تدخلان من نافذة السجن ، فامسكهما السجين ، وبعث بهما هدية للحسناء « كبرهان ودليل على حبه واخلاصه ووفائه لها »

ولكنها لم ترد عليه ، فعاد الى السباب والشتم !

كتب مرة يقول : « يا سيدتى ، انى اتعذب بسببك منذ مائة الف ساعة ، ايتها القاتلة ! »

وصار يتحدث عن نفسه بوصفه من النبلاء ، ومن أسرة شريفة عريقة ويقول ان اعتقاله أفقده ثروة طائلة سيطالب الملك بردها اليه عند ما يخرج من السجن .. وصار ايضاً يسأل : « لماذا انا مسجون ؟! ماذا صنعت ؟ اى ذنب اقترفت ؟ » ولكن رسائله كلها ، العشرات والمئات ، بقيت بدون رد !

وفجأة ، بلغه أن المركيزة دى بومبادور مريضة ، وانها على فراش الموت ، ونصحوه ان يكتب اليها

ليطلب المغفرة منها .. ولكنه في هذه المرة رفض أن يكتب، وكان رده : « أتمنى أن تموت هذه الملعونة ! »

وماتت بومبادور فعلا في ١٩ ابريل ١٧٦٤

وطالب الرجل بأن يطلق سراحه فلم يجبه أحد الى طلبه ، كان كل واحدمن ذوي السلطة يلقي مسئولية اعتقاله على غيره ، ولا أحد منهم يجرؤ على تحمل مسئولية اطلاق سراح المسكين !

وواصل دازي كتابة مذكراته

وفي هذه الاثناء، مات احدضباط الحرس وكان يدعى « فيساك دي لاتود » فخطر للسجين الدائم أن يدعي أن هذا الضابط النبيل ابوه ! وصار يسمي نفسه منذ ذلكالوقت « الفيكونت دي لاتود ! » ولهذا قلت انه يحمل اسما ليس اسمه : فهو لا يدعى لاتود ،ولا يحمل لقب فيكونت

خرج مرة في نزهة على الاسوار برفقة ضابط من ضباط الحرس ، فوقف فجأة وسأل رفيقه :

ــ ما رأيك في الطقس ؟

ــ الطقس رديء اليوم !

ــ وأنا أراه صالحا للهرب !

واختفى لاتود عن انظار الضابط! هرب مرة أخرى ، وذهب الىالفتاة التيآوته من قبل، في المرة السابقة .. واعتقل من جديد واعيد الى السجن

واستأنف كتابةمذكراته ورسائله .. ولكن ادارة السجن في هذه المرة أحالته الى الطبيب الشرعي الذي قرر انه مجنون وارسله الى مستشفى المجاذيب في شارنتون !

▭

واخيرا في ٥ يونيو ١٧٧٧ وقع الملك الجديد لويس السادس عشر ، أمر الافراج عن الفيكونت دي لاتود المسجون بدون سبب ! وطلب من الرجل أن يعود الى بلدته ومسقط رأسه ، ولكنه بقي في باريس ،وبات بضعة ليال عند سيدة سرق منها مالها وحليها وهرب .. فاعتقل وارسل في هذه المرة الى سجن « بيستر »

ولكن رجلا يدعى « ليجرو » وزوجته أخذتهما الشفقة على هذا السجين الدائم ، بعد أن عرفا حقيقة ما حدث له ، فتوليا الدفاع عنه ، وحصلا له على أمر آخر بالافراج ، من الملك ، وعلى معاش سنوي يتقاضاه من خزينة الدولة ! وخرج نهائيامن السجن بعدأن قضى فيه ٣٥ سنة بسبب مدام دي بومبادور !

ووقعت الثورة الفرنسية الكبرى في سنة ١٧٨٩ . فاندفع لاتود فيها، وانتخب عضوا في الجمعية الوطنية ولعب دورا في معظم الحوادث التي أسفرت عنقيامالنظام الامبراطوري مع نابليون الاول .. ومات لاتود في سنة ١٨٠٥ ،وقد بلغ حوالي الثمانين من العمر !



فى عرض البحر

بقلم الدكتور امير بقطر

كان الشاب المصرى يعبر البحر الاطلسى للمرة العاشرة ذهابا الى أميركا والعودة منها . وقبل ان تتحرك الباخرة الالمانية «دويتشلاند» من مرفأ نيويورك ، قاصدة شربورج فى فرنسا وسوثمبتون فى انجلترا وأخيرا أرض الوطن همبورج فى المانيا، ازدحمت صالوناتها الواسعة بالمسافرين والمودعين . وكان المشهد مؤثرا فوق العادة . عناق وتقبيل .. دموع تجرى بغزارة فوق الخدود .. تنهدات عميقة وتأوهات صامتة ، ترتفع أحيانا الى بكاء ونحيب

ووسط ذلك الضجيج ، والهرج والمرج ، والصعود والنزول ، وغير ذلك مما يجرى عادة فوق الرصيف الذى ترابض أمامه السفن البخارية الكبرى ، كانت هناك حركات صاخبة بين حشد كبير من كواكب السينما ، تفيض وتزخر بأسباب الطيش والجنون . فهذا هرم فى العقد السادس من عمره ، قيل لنا انه مخرج ، يعانق فتاة فارعة نادرة الجمال لا تتجاوز العشرين . ولانه كان ممعنا فى القصر ، وكانت هى ممعنة فى الطول ، ظل يأتى حركات بهلوانية أكروباتية ، لعله يفوز منها بقبلة ، ولكن بغير جدوى . وكانت الفتاة تشاركه فى الشهيق والزفير والبكاء ، ولكنها لم تتنازل بالانحناء قليلا ، حتى توفر على رفيقها محاولاته الفاشلة ، وتهكم الغادين والرائحين . وهذه كوكب شمطاء لاتزال تحتفظ بمسحة من جمال الشباب ، وتتزين بمجموعة من عقود اللؤلؤ واقراط الماس ، تمطر نجما

من نجوم السينما فى شرخ الصبا وابلا من قبلاتها ، والناس حولها يغمزون بعيونهم ، ويهمسون قائلين «جيجولو» (Gigolo)

انه منظر لايجود الدهر بمثله الا فى اختيار ملكة الجمال العالمية فى ميامى أو ليك سكسيس أو اتلانتيك ستى .. أسراب من الظباء بين حشد من الفنانين والفنانات ، تخفق لهم القلوب ، وتهفو اليهم الجوانح ، لفتيات من فرق الباليه ، روسيات والمانيات واسكندناوات ، فى طريقهن الى ستكهولم عاصمة السويد ، تترقرق فى أعطافهن دماء الشباب ، وقد ظل الى جانب كل منهن صديق يطارحها الغرام ، مقبلا ، معانقا ، باكيا .. وعلى مقربة من هؤلاء وأولئك طائفة أخرى من الفنانين ، قيل لنا انهم رسامون ومثالون فى طريقهم الى أوطانهم ، وكان البيت الابيض فى واشنطون قد استقدمهم لتزيين المكان بلوحات كلاسيكية خالدة ، وتماثيل تاريخية للعظماء فى شتى الميادين وكان يرافق بعض هؤلاء زوجاتهم والبعض الآخر صديقاتهم

□

ولم تكد الباخرة تصفر ايذانا بالقيام ، حتى أخذت تنسلخ من مرساها فى بطء وتؤدة ، وضجيج المودعين يشتد وبكاء المسافرين يعلو ، والشاب المصرى غارق فى لجة من الاحلام ، بين معجب بهذا الشريط السينمائى الغريب ، وبين مستهجن لما يجرى فيه من استهتار ، لم يجد من شعاعه قبسا فى غير هذه الرحلة من رحلاته السالفة . وبعد دقائق معدودات ، فتح عينيه الناعستين على ناطحات السحاب تختفى فى ضباب «منهاتن» ، والسفينة تنطلق مسرعة نحو الشرق تمخر عباب البحر

كان هذا فى منتصف الليل ، وقد اكتظت الباخرة فى كل قاعة من قاعاتها الرحبة بالمسافرين ، وانتشر الخدم بينهم يحملون قصاع «السندوتش» من كافيار روسى ، وهام يوركشرى ، وركفور فرنسى .. وأخذ غيرهم يدورون بكؤوس النبيذ واكواب الشراب من كافة الوان الكوكتيل ، ترفيها للمسافرين .

وجلس الشاب المصرى على أريكة يقلب صفحات كتاب فرنسى موضوعه « ما بعد الموت »
(Après la mort)
لمؤلف مجهول ، وهو مأخوذ بما يرى حوله من مجموعات من الناس ، يختطف جمالهم الابصار ، ويصيب حسنهم مواقع الوجدان . ولم يكن يدرى وهو سابح فى حلمه الجميل ، ان بجانبه ، وعلى الطرف الآخر من الاريكة تجلس حسناء فى أواخر العقد الثالث من عمرها ، تطيل النظر الى عنوان الكتاب ، وترتسم على

وجهها ابتسامة مريضة ، لم يدراذا كانت تخفى وراءها نوعا من التهكم أو لونا من الوان الرضا والارتياح . فلم يسعه الا أن يسارقها النظر فى حياء ، ويهدى اليها طيف ابتسامة فى تردد وخفر ، ولكنها كانت ترده بسلاح طرفها الغضيض ، وترنو ببصرها الى الجانب الآخر من البهو

▭

فى صباح اليوم التالى يرتفع الستار على مشهد آخر من فصول هذه الرواية ، المكان سطح الباخرة الاعلى المكشوف ، الجو صحو ، والشمس ساطعة ، وعشرات من المسافرات والمسافرين ، قد التفوا بالبطاطين اتقاء البرد ، وتمددوا على الكراسى الطويلة ، يطالعون جريدة الصباح اليومية التى تطبعها ادارة الباخرة . وبمجرد الصدفة يرفع الشاب المصرى عينيه من كتابه ، فاذا بوجوه صباح تنعكس عليها اشعة الشمس الذهبية فتزيدها جمالا على جمالها ، واذا بأحد هذه الوجوه على يساره يسأله عن «مابعد الموت» ويستوضحه فى عبارة تنم عن مزيج من العتاب والاستغراب ، عن سبب اختياره هذا الكتاب ، الذى لايتفق عنوانه ، وبهجة هذا الجمع من رجال الفن الذين يذخر بهم فناء الباخرة ، ولا تتلاءم غيبياته مع ذلك الحشد من حسناوات هوليوود ، اللاتى يمرحن فى أرجائها فى بحابح النعيم والرشاقة والجمال ، ولم يكن صاحب هذا الوجه سوى الحسناء التى كانت بجانبه على الاريكة بالامس

ثم انتقل الحديث الى بعض الفتيات اللاتى كن يجهشن فى البكاء عند توديع اصدقائهن من رجال الفن ، وكيف لم يمض على تحرك السفينة ساعتان ، حتى اندمجن مع بعض ضباط الباخرة فى سهرة طروبة مجنونة قضينها بين الرقص والعب من كؤوس الشمبانيا الى مطلع الشمس ، وكيف أن النفاق اصبح صناعة ادرك قيمتها الانتهازيون فأوغلوا فيها

ولم ينقض اليوم الاول من هذه الرحلة ، حتى توثقت أواصر الود بين الشاب المصرى والسيدة الحسناء ، بكيفية استرعت انظار المسافرين ، ومنهم صديق قديم للشاب ، وهو طبيب انجليزى الاصل ، تجنس حديثا بالجنسية الاميريكية ، وانتدب استاذا فى كلية الطب بجامعة بيروت . وكان الطبيب نبيل النفس ، جم الحياء ، يجالس الشاب المصرى طالما كان بمفرده ، فاذا قدمت الحسناء ، استأذن قائما ، رغم الالحاح عليه بالبقاء . وكان الحديث بين الغريبين يكاد يكون همسا ،

فيخيل الى من يراهما انهما يتطارحان الغرام ، بالرغم من انهما كانا يتناولان شتى الموضوعات سوى هذا ؛ فقد كانت السيدة مولعة بالموضوعات الفلسفية والاجتماعية بدرجة كبيرة

أما الشاب المصرى فقد حار فى أمر هذه السيدة، لاصرارها على مصاحبته فى الجلوس على ظهر الباخرة ، وفى صالون الموسيقى ، وقاعة الرقص، فى كل ساعة من ساعات النهار ، والى الساعات المتأخرة من الليل ، فلا تفارقه الا فى أوقات تناول الطعام، التى تجلس فيها الى مائدة مستديرة مع زوجها وربان الباخرة وبعض كبار الضباط ، والا فى الساعات التى تأوى فيها الى مخدعها ليلا

وكل ما عرفه الشاب عنها ، أنها المانية الجنس ، وزوجها أحد كبار المثالين الذين استدعاهم الرئيس روزفلت الى البيت الابيض كما سبق القول ، وانهما من سكان برلين ، ويشتركان فى عدة أندية فنية واجتماعية ورياضية ، ومنها العضوية فى نادى العراة فى احدى ضواحى العاصمة الالمانية

ومما زاد المصرى حيرة ، ان الزوج كان لايجالس السيدة ، بطلة هذه القصة ، الا فى قاعة المائدة ، وقلما يظهر مع غيرها فى اى وقت آخر ، لانه كان يقضى كل اوقاته فى لعب البردج والبوكر فى صالون الربان

وكان الترف بالغا حد التطرف فى الحياة اليومية فى الباخرة «دوتشلاند» كانت قائمة الطعام دائرة معارف لكافة الالوان فى البلدان الشرقية والغربية على السواء . وكانت وجبات الاكل الرئيسية تتخللها الحساء والبسكوت صباحا، والشاى والحلوى عصرا ، وأنواع الشطائر الفاخرة قبيل الساعة العاشرة ليلا ، ومثلها لمن يشاء بعد منتصف الليل وفى اية ساعة قبل الفجر ، وكانت الموسيقى تعزف فى قاعة المائدة مع كل وجبة ، وتعزف للراقصين مرتين كل يوم ، تستمر المرة الثانية الى الساعة الثانية صباحا

□

ونظرا للحياة البوهيمية التى اعتادها السواد الاعظم من ركاب السفينة - وأكثرهم من الفنانين والفنانات - فقد كان الاستهتار فى الحظائر والردهات حاسرا بغير قناع وكان يخيل للناظر أن الاغلبية من المسافرين ، تجردت أكتافهم من كل مسئولية فى الوجود، وخلت جوارحهم من اخف العقد النفسية التى لاينجو منها الناس الا نادرا ، ولا عجب فى ذلك فان العقد لاتعيش فى دخائل الاباحيين ، لان العقدة بطبيعتها

كبت وكتمان وحرمان ، والاباحية مصارحة ومجاهرة

وكان الربان هرما ، مفتول العضلات ، مخضرم الملامح، لاتفوته فرصة يقف فيها في صالون الرقص، يتعرف مواقع الحسن فيأعطاف من تقل السفينة من أسراب الظباء ، ليطلب يد من يشاء منهن ، وقد جرؤت السيدة الحسناء ، بطلة القصة ، أن تعتذر له في اليوم الاول، فلم يفاتحها مرة أخرى بعد ذلك والواقع أن الشاب المصرى قد احرج مع كل من الربان وكبار الضباط ، لان السيدة طيلة تلك الرحلة لم تشأ أن تراقص احدا سواه ، رغم الفرق الشاسع بينهما في حذق هذا الفن

كان الضباط يتقربون اليها ، فيلقون بالصد والاعراض ، وكان شبان الفنانين من اصدقاء زوجها يتزلفون اليها ، فيقابلون بالجفوة والانقباض . وكان بعضهم يلح في طلب يدها للرقص ، ملاطفا تارة ومخاشنا أخرى ، فتتأبى وتتمنع حتى خشى المصرى ان تتسع الهوة بينها وبينهم ، وهى منهم ، فيلقون اللوم عليه ، بيد ان شخصيتها القوية كانت تضرب بحنقهم عرض الحائط

□

وحدث في حفلة الوداع التيأقامها الربان للمسافرين في الليلة الاخيرة، أن جاء الزوج على خلاف عادته فانتزع زوجته من ركن في مقدمة السفينة كانجماعةمن الطلبة العرب يحتلونه كل الوقت ، وقد خطر على بال الشاب المصرى ان يصحب الطبيب الاستاذ ، والسيدةالحسناء صديقته الى ذلك الركن ، لقضاء جلسة شرقية بريئة . كان أحد الطلبة يعزف على عود بعض الالحان العربية ، وكان بعضهم يشربالقهوة التركية المعطرة ، والشاى الصينى المنعنع ، في الوقت الذى كان فيه بقية المسافرين ، يحتسون الراح مشعشعة بالصودا ، ويصبون الشمبانيا الاصيلة في أكواب من الكرستال الفاخر . وهذه كانتالمرة الوحيدة التى اظهر فيها الزوج غيرته على غادته الحسناء ، والمرة الوحيدة التى ثار فيها في غيظ مكتوم على احتكار زوجته من أجنبى لايعرفه ولا يعرفها

وبعد قليل ذهب المصرى الى «كبينته» لحزم الحقائب استعدادا للنزول في ميناء شربورج ومنها يستقل القطار الى باريس . وكان موعد رسو الباخرة الثالثة صباحا. ولم يكد ينته من هذه المهمة حتى جاءه أحد الخدم برسالة منصديقته الحسناء ، ترجوه فيها ان يوافيها في منتصف الليل على السطح الاعلى للباخرة ، لتوديعه حيث انه لن يسعها أن تراه في الساعة الثالثة

كانت السماء صافية الاديم ، والقمر ساطعا تختلط اشعته الفضية بزرقة الماء . وكان البحر



« وفتح المصرى الباب ليجد امامه المثال بعينه »

هادئا كصفيح البلور ، وكانت السفينة تتهادى ، تشق طريقها نحو الشاطىء الفرنسى

ودار الحديث حول الهوة العميقة بين فلسفة الحياة فى امريكا وفشلها فى القارة الاوربية ، وما هو أعمق من ذلك بين النظرة الشرقية الى الحياة ، والنظرة الغربية ، وحكمة الخالق فى التفريق بين الامم فى اللغات والاصول السلالية والاديان ، وحكمته فى التفريق بين أفراد الامة الواحدة فى الامزجة والطباع والميول والنزعات ودرجة الذكاء ، وما يترتب على كل هذه من صراع وتنافر وسوء تفاهم هذا بالرغم مما فى هذا التنوع من ميزات لاتنكر ، كتنوع الزهور والاشجار وكل شيء آخر فى الوجود

وبعد أن دار الصديقان حول سطح الباخرة مرات ، لايعلم الا الله عددها ، وبعد أن تشعب الحديث فانتقل الى شتى الموضوعات ، تلفتا حولهما فاذا المكان قد خلا كلية من المتنزهين والمتنزهات فى ضوء القمر ، واقفر السطح من رواده ، وسكنت كل حركة فى السفينة سوى هزات آلاتها ، واذا لم يبق على رسوها سوى ساعة وبضع دقائق . وفى هذه اللحظة

بالذات راى الصديقان الزوج أمامهما وجها لوجه . ولكن احدا لم ينطق ببنت شفة ، انطلق هو يدور حول سطح الباخرة في جهة ، واستانف المصري والزوجة طريقهما في الجهة الاخرى ، ثم كانت كلمة الوداع .. وكلها عطف ورقة وسمو

□

عاد كل منهما الى «كبينه» وفى جنبى المصرى شعور بالاثم . اين ذلك التقليد الذى يسمح لسيدة أن تترك زوجها فى ذلك الهزيع من الليل لتختلي بغريب عنهـــا ، ايا كانت الاسباب ؟ وبهذا الشعور ، وطيف الآراء التى تزاحمت فى راسه ارتمى على السرير ، ليحظى بغفوة قبـــل التأهب لمغادرة الباخرة

لعل عينه قد غفت نصف ساعة او اقل ، حينما ســـمع طرقا على الباب ، وكان أول ماخطر على باله شىء طبيعى .. لم لايكون الطـــارق الزوج المثال يحمل مسدسا، لينتقم به من صاحب «الكبينة» ، وهـــو وحيد لايشاركه فيها أحد ؟

وبالرغم من هذا فقـــد تشجع المصرى وفتح الباب ، ليجد أمامه ماخطر بباله . المثال بعينه ، ويده فى جيب البنطلون . هل يده على المسدس ؟ وهنـــا تدفق الرجل فى الحديث بسرعة فائقـــة ، خوفا من ضياع الوقت قائلا :

لدى ٥ آلاف دولار لا اريد اخذها معى الى المانيا ، فقد علمت بعـــد خروجى من اميركا مبـــاشرة ، ان الحكومة النازية ســـتستولى على اكثرها . هذا عنوان قريب لى فى واشنطون . ارجو حال وصولك الى باريس ، أن تبعث اليه بهذا المبلغ حوالة على «الاميركان اكسبريس» فقط عدنى الا تذكر عـــدد هـــذه الدولارات لزوجتى .. واستعد هو للذهاب

ـ ولكن كيف تضـــمن اننى لن استولى على هذا المبلغ ؟ انتظر حتى اكتب لك ايصالا بها

ـ ليس مايدعو لذلك . لقد علمت من زوجتى انك جدير بكل ثقة

هذا كل ما دار بين الاثنين . ولم يكد يصـــل المصرى الى باريس ، حتى توجه الى «الاميركان اكسبرس» وكانت على مقربة من كنيسة مادلين الشهيرة ، وعلى قاب قوســـين من فندق «افنيون» الصغير الذى كان نازلا فيه ، وارسل المبلغ الى العنوان المكتوب . وبعد شهر من ذلك التاريخ حمل البرق الى الشاب المصرى فى القاهرة رسالة من مثال برلين فحواها « لا تزال الدنيا بخير ، ولا يزال فيها أوفياء»

فهل كانت الصداقة وسيلة لغاية؟ هل انست الزوجة فى الشاب المصرى الامانة ، ام السذاجة ام كليهما ؟ ولم غضبت فى مراسلاتها بعد ذلك مدة عام كامل ، لان صديقها ابى حنث العهد باحاطة علمها بعدد الدولارات؟ هذا ما نتركه لقارىء القصة الواقعية للاجابة عنه

« الانسان الاول لم يكن يدري من أمر دنيـــاه شيئا . ان هو الا غذاء يرى يقتات منه وكساء خضري يستتر به ، وكهف صخري ياوي اليه »

قصة العلم

بقلم الدكتور عبد الحليم منتصر

عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس

قصة العلم ، هي قصة الحضارة الانسانية ، تحكي حياة الانسان منذ ظهر على سطح الارض ، منذ خمسمائة الف سنة ، كما يقول العلماء ، حتى عصرنا الحاضر ، عصر الذرة والالكترون والطائرة والغواصة والمذياع والتلفزيون ، والرادار ، والكهرباء ، والسينما ، والقنبلة الذرية والايدروجينية والكوبلتية .

وهي قصة لا تنقصها الحبكة ، ولا تنقصها العقدة ، مسرحها الحياة وبطلها الانسان ، منذ درج على ظهر الارض ، ودار ببصره فيما حوله ، فاذا به وجها لوجه أمام الطبيعة ، فأراد أن يخضعها لسلطانه ، وأن يستذلها لقوته ، فجاس خلال سمائها ، وغاص في أغوار بحارها ، وارتاد نجادها ووهادها ، وأنه ليرنو ببصره نحو كواكبها ، يريد أن يرقى اليها ، ومن يدري ، فلعله راقيها يوما قد لا يكون بعيدا

ولامراء في أن الانسان الاول ، لم يكن يدري من أمر دنياه شيئا ، ان هو الا غذاء يرى يقتات به ، وكساء خضري يستتر به ، وكهف صخري يأوي اليه . ونحن كذلك لا نكاد نعلم عنه الكثير ، فلم يترك لنا من آثاره الا هذه الاحجار التي اصطنعها احيانا ، والهياكل والحفريات التي تسجل اماكن وجوده وآثار نشاطه ، فظل هذه الحقبة الطويلة التي يقدرها العلماء بمئات الالوف من السنين ، تدمغه البداءة والبساطة ، الى ان عرف رويدا رويدا كيف يسيطر على الطبيعة ، ويدين قواها له ، ويلين العصي منها .. فعرف الكلام ، واخترع الكتابة ، وصنع الادوات ، وزرع الارض وسيطر على النار ، وبذلك تحول من كائن بشري يجمع الغذاء ليقتات به غضا فجا ، الى انسان ينتج الغذاء الذي فاض عن حاجته ، ويفتن في طهو الوانه وأنواعه ، فصرف طاقته الى تسخير بعض قوى الطبيعة ، والسيطرة على البيئة التي يعيش فيها . وعلى مر العصور ظهر مجتمع متمدين ، فيه حضارة وفيه ترف ، وفيه كتابة ، ، وفيه علم ، وفيه فن ، وكان ذلك منذ

خمسة آلاف سنه ، حين ازدهرت على جوانب النيل في مصر ، والرافدين في بابل ، والسند في الهند ، حضارات مصر وبابل واشور والكلدان وغيرها من حضارات ، وصلت الينا أخبارها متناثرة حينا ، ومتكاملة حينا آخر ، الا انها تدل على مبلغ رقي عقل الانسان ، ومدى تمكن اساليبه في سبيل السيطرة على قوى الطبيعة ، وبذلك ارتقى حظه من الاستمتاع بالحياة ومباهجها . ومن سوء الحظ أن هذه المدنيات القديمة لم تصلنا انباؤها كاملة ، لم نعرف الكثير عن آدابها وعلومها ، وان عرفنا شيئا عن صناعاتها وفنونها بما حفظ في سجلات الصخر ، وأوراق البردي ، وما نحت في احجار المعابد والهياكل ، فعرفنا علومهم عن طريق اعمالهم اكثر من معرفتنا بها عن طريق كتبهم ، وتلك شهادة لا يداخلنا شك في قيمتها ، انها شهادة تستقرا دون قراءة ، لانها عمل فني صامت ، فلابد لباني الاهرامات والمعابد والهياكل وما بها من تحف وآثار ، لابد له من الالمام بالهندسة وفنون البناء ، والصياغة والتحنيط ، والتعدين ، وغيرها من فنون لا تكاد تقع تحت حصر

ثم انتقلت هذه المعارف الى بلاد الاغريق ، وتركزت في مليطه واثينا وغيرها من مدائن الاغريق ، حضارة علمية فنية راقية ، وتفاعلت الحضارات القديمة في حضارة الاغريق وتتلد ، واستفادت هذه من الحضارات التي ازدهرت وسيطرت مدى ثلاثة آلاف سنة قبل عصر الاغريق ، وانتشرت الكتابة التي كانت مقصورة قبلا على طبقات بعينها ، كما كانت الهيرغليفية ، والتقت حضارات البابليين والمصريين والفينيقيين والحيثيين والعبرانيين — التقت هذه جميعا في بلاد الاغريق ، انتقلت بعد ان تطورت وارتقت ، أو لعل الاغريق هم الذين عملوا على تطويرها لتلائم أذواقهم واساطيرهم واساليبهم في التفكير . وكان اهل الاغريق قوما مفكرين ، يسلمون بسلطان العقل ، فحالت طريقتهم في التفكير دون انتشار الخرافات . وغدا العلم الاغريقي مدينا بطبيعة الحال للمدنيات السابقة وهي الاقدم عهدا ، والمتقدمة عليه في التاريخ . ولا بد انه استفاد من هذه المدنيات وتفوق عليها ، وهو اذا قورن بالمعارف القديمة ، بلغ حد الاعجاز في نظر الكثيرين

ومع ذلك فاننا ننظر في اجلال واكبار الى ما حققه البابليون في الرياضيات والفلك الرياضي ، مما يدل على أن ثمة طرقا حسابية ظهرت قبل الف وخمسمائة من السنين قبل الميلاد . وكذلك طب الفراعنة وهندستهم وتعدينهم — ومن أسف أن معلوماتنا عن تاريخ العلم في تلك العهود قاصرة ، ولكن لامراء في أن الاغريق قد استفادوا من هذه المعلومات . لقد اشتهر المصريون القدماء بعلوم الطب والجراحة كما تكشف عن ذلك بردية « سميث » المشهورة ، كذلك كانت لهم دراية

بعلوم المعادن وفنون الهندسة والبناء، مما نقله الاغريق عنهم بعد أن صاغوه صياغة اغريقية . ويبدو أن العلم فى عصور ما قبل الاغريق كان عمليا، اكثر منه نظريا ، فلم تك ثمة نظريات، انما هى مهارات يدوية ، وخبرات عملية . وتميز العلم الاغريقى الذى ساد فى العصر الذى ينسب اليهم بوفرة النظريات والفلسفات . وقد شاعت الكتابة ، وشاع العلم كذلك ، ولم يعد طبقيا كما كانت الحال قبلا. اى تختص به طبقة ، هى طبقة الكهنة فى اغلب الاحيان .

▭

يمكننا ان نقسم هذه القصة الى فصولها الستة الرئيسية ، الفصل الاول هو عصر ماقبل الاغريق، وهو ماالمنا اليه فى هذا الحديث ومعلوماتنا عنه قاصرة . والفصل الثانى يختص بالعصر الاغريقى ، ولعلنا نستطيع أن نفصل القول فيه بعض التفصيل، ثم يعقبه العصر الاسكندرى وهو الذى يلى العصر الاغريقى ، وهو مكمل له ولاحق له، ثم العصر العربى فعصر النهضة وأخيرا العصر الحديث

تلك اذن هى الفصول الرئيسية الستة التى تنتظمها قصة العلم ، ويشمل كل فصل عددا من المناظر، تختلف عددا ولونا تبعا لشخوص ابطالها ، وتبعا للكشوف التى عرضوها على المسرح

يبدأ الفصل الثانى من هذه القصة فى أواسط القرن السابع قبل الميلاد ، وكانت مليطة وأثينا وغيرهما من المدائن مسرحا لعب عليه ابطال هم رواد العلم ، منهم طاليس وأناكسيمندر وأناكسيمس ، وهر قليطس وابقراط ــ واولئك هم ابطال العصر المليطى او الايونى .ثم أعقبهم ابطال العصر الفيثاغورى ، ويسمون بالفيثاغوريين ، منهم فيثاغورس وبارمينيدس وأميدوقليس ثم أناكساجوراس الذى ظهر فى ايونيا واستوطن اثينا وعلم بركليس ، ثم ديمقراط ، وينتهى هذا الفصل بالعصر الاثينى، حيث ظهر سقراط وافلاطون وارسطو ، لقد بدأ العلم الاغريقى بطاليس فى القرن السابع قبل الميلاد، وانتهى بارسطوطاليس فى سنة ٣٢٢ قبل الميلاد ، وقد أطلق العرب على ارسطو اسم المعلم الاول عرفانا بفضله على العلم والفلسفة ــ لقد استطاع العلم الاغريقى أن يفرض سلطانه ، لاعلى ما تقدمه من حضارات ومدنيات فحسب ، ولكنه فرضها على كل ما لحقه من عصور علمية كذلك ، فان كثيرا من النظريات الحديثة ، نجد أن جذورها متصلة بهؤلاء الرواد ، أما فلسفتهم ، فيكفى أن نذكر انه كان من حسن حظ مصر أن وجد فيها من يدعو الى النهل من العلم الاغريقى والفلسفة الارسطية منذ مطالع هذا القرن

وظهر على المسرح بعد ذلك أعلام العصر الاسكندرى والاغريقى الرومانى الذى يمتد عقب أرسطو حتى جالينوس ، ويشمل نحو خمسمائة

من السنين ، ظهر فيها اقليدس وارشميدس وابولونيس وارسطرخس وهيروقليس وديوسيس ، وينتهي ببطليموس الفلكي الجغرافي صاحب المجسطي المشهور وجالينوس الطبيب والعالم في التشريح حوالى سنة ١٩٩ ميلادية.
ولقد قيل ان دائرة المعارف العلمية التي وضعت في العصر الاسكندري تفوق كل ما تقدمها ، وقد ظلت دون منافس ردحا طويلا .

▭

لقد حول الاغريق المعارف المكتسبة بالتجريب الى علم نظري ، فالخبرات الكيميائية تحولت الى نظريات ، اخذوا عن المصريين الكيمياء التطبيقية في صناعة الفخار والزجاج ، حولوا الرمل الى زجاج واستخلصوا الحديد والذهب ، وكانت هذه الصناعات وقفا على الاغنياء والكهنة ، وظلت العلوم العملية التطبيقية تنتقل شفهيا من جيل الى جيل . لقد ابتكروا الساعة المائية والميزان المائي والمخرطة والزوايا والمسطرة والمنجلة ، ومن أسف أن أهمل العلم الاغريقي هذه الحرف وتلك المهن واستعلى علماؤهم عن امتهانها . وتفرد العلم الاغريقي بتقديمه لاول مرة التفسير الفلسفي والعقلي للكون . لقد زار طاليس مصر ، ونقل عن المصريين فنونهم الهندسية وزاد عليها واضاف اليها ، كما اخذ عن الفينيقيين الاستعانة بالنجوم في الملاحة ، ويقال انه تنبأ بكسوف الشمس الذى حدث سنة ٥٨٥ قبل الميلاد .

لقد قال طاليس ان كل شيء يرجع الى الماء ، فالماء هو العنصر الوحيد ، وقال اناكسميدر بل هو التراب ، ثم نادى اناكسيميس بل هو الهواء ، ثم قال هيرقليط بانه النار ـ وكذلك ظهرت نظرية العناصر الاربعة ، وهى الماء والهواء والتراب والنار .

لقد سجلت مدرسة الفيثاغوريين تقدما عظيما ملحوظا في الهندسة ونظرية الاعداد ، وتوصل ابطالها الى اغلب النتائج التى نظمها اقليدس فى كتابه العناصر . وصفوا الكون على أساس العدد بخلاف الايونيين والمليطيين الذين وصفوه بانه سلوك عناصر مادية معينة وعمليات طبيعية اطلقوا على النقطة رقم ١ والخط رقم ٢ والسطح ٣ والجسم ٤ تبعا للحد الادنى من النقط اللازمة لتحديد كل من هذه الابعاد . وابتكروا اسلوبا رياضيا جديدا لتقدير احجام النجوم وابعادها واضافوا السلم الموسيقى

▭

ولنعد الى النظرية الذرية التى ابتدعها ديمقراط فى القرن الخامس قبل الميلاد ، والتى ظلت تتقاذفها يد الزمن الى ان القت بها الى دالتن ، ثم الى أبطال انشطارها في العصر الحديث ، الذين كشفوا الالكترون والميزون والبروتون والنيترون . لقد كان افتراضا بارعا أفترضه ديمقراط ، بلغ الذروة بالتكهن العقلى عن طبيعة الكون فى التاريخ القديم ، تلك الحركة التى بداها طاليس تقول النظرية

الذرية القديمة بأن الكون يتكون من شيئين الذرات والفراغ. والفراغ لا نهائي في اتساعه ، كما أن الذرات لا نهائية في عددها . وكانت ذرات ديمقراط قابلة للانقسام ، وأعلن عدم فناء المادة .

ثم ظهر سقراط العظيم ، وظهر افلاطون الذى كتب على باب اكاديميته « لا يمكنك ان تدخل هنا الا اذا كنت تعرف الهندسة » ، وقال عن الذرات انها صلدة . لقد كان افلاطون من اعظم المفكرين الذين جاد بهم الزمان على الانسانية .

اما أرسطو فيمتاز بأنه أول العلماء الاغريق الذين يمكن دراسة مؤلفاتهم في صورتها الاصلية ، لقد أضاف أرسطو العنصر الخامس ، الذى تتكون منه الاجرام السماويه ، وقال من السخف أن نتصور ان الكون يتغير لمجرد حدوث تغيرات تافهة على الارض بينما كتلة الارض وحجمها يعتبران على وجه التأكيد شيء لا وجود له اذا قورنا بالكون باكمله . وقد قيل عن اضافات أرسطو لعلوم الحياة ، انها اعظم اضافة قدمها فرد

وبعد فأولئك ابطال هذا الفصل من قصة العلم ، لقد أدوا دورهم في هذه المسرحية فأحسنوا الاداء ، لقد وضعوا الاساس ، الذى ارتفع فوقه البناء شامخا سامقا في الفصول التالية

***

شهادة الدواب :

يحدثنا « الزبير بن بكار » أحد رواة النوادر في العصور الغابرة انه كان بمكة رجل يجمع في بيته الرجال والنساء على الشراب ، فشكاه اهل البلد الى الوالي ، فأزاله الوالي عن بيته ، ونفاه الى الجبل . فبعث الرجل الى عملائه يخبرهم انه قد اتخذ لهم هناك مأوى ، فطفقوا يتوافدون عليه ، ويختلفون اليه ، وقد اكتروا حميرا تحملهم على الطريق . فأعاد أهل البلد شكاية الرجل الى الوالي ، فلما أحضره وسأله تبرأ مما ادعوا . فقال أهل البلد للوالي : الدليل على صدقنا وكذبه انك تأمر بجمع من الحمير التى للكراء فتبعث بها وحدها ، فانها تصير الى منزل الرجل كما هي بغير دليل. ففعل الوالي ذلك ، واستبان له صدق الدعوى ، فأمر بتجريد الرجل ، ودعا بالسياط ليجلد ، فقال الرجل للوالي : انى لا ابالي الجلد قدر ما اخشى ان يشمت بك الناس ويسخروا منك حين يعلمون انك قد اجزت شهادة الدواب !

فضحك الوالي له ، واستتابه ، وخلى سبيله



قصة واقعية

أصبع القدر

بقلم الاستاذ أحمد عبد القادر المازنى

رآها تتقدم في خطوات متزنة رشيقة صوب محطة الترام ، فحدق فى عينيها ، وفتن بسحرهما ، ثم راح يأخذها بعينيه جملة • وخفق قلبه ، وشعر به يكاد يثب نحوها ، وعجب كيف لم تقف الحركة فى الطريق ، وتصطف الناس على جانبيه، وتفسحه لهذه الملكة غيرالمتوجة التى تسير وكانها لاتدرى ما لها من جمال خلاب فتان ، وقوام أهيف ممشوق كغصن البان ، وعينين يفيض منهما السحر الحلال

ورآها تسير فى طريقها غير حافلة بأحد ، ولا ترى الا مواضع قدميها ، وتقبل بالحديث على السيدة العجوز التى تمشى الى جانبها

وشعر بالرغبة الملحة ان تلقى عليه نظرة ، وأن تصوب الى عينيه بعض سحر عينيها ، ولكنها كانت غافلة ، فوثب من مكانه ، واعترض طريقها ثم تنحى وقال :

ـ عفوا سيدتى • تفضلى

فارتفعت عيناها الى وجهه ، والتقت الاعين فى نظرة ليست بالقصيرة ، وشعر حمدى برجة تهز كيانه ، واحس بأنه واقف على رأسه لا على قدميه ، وبان الارض تميد تحته، ولكنه مع هذا أحس كانه قد سمر مكانه فلا يستطيع تزحزحا

ورأت الفتاة مابدا فى عينيه وعلى ملامح وجهه ، فأجالت انظارها فى هذا الوجه الفتى الوسيم ، وارتاحت الى مرآه، فبسمت له بسمة خفيفة ، كادت تطير نفسه معها شعاعاً، وقالت فى ذلك الصوت الذى لايسمعه المرء الا وقت انبثاق الفجر متطايرا من فوق الافنان ، او منبعثا من جداول المياه • هو كخرير الماء فى رقته ، أو حفيف الاشجار فى وسوسته، أو هدير الاطيار فى عذوبته ، أو الحان الموسيقى فى شجوها

ـ شكرا لك

وتابعت سيرها حتى وصلت الى الافريز • ومرت لحظات طويلة وهو لايزال مسمرا فى مكانه ، وعيناه تتابعان حركاتها وميس قوامها ، وتثنى قدها فى سيرها ثم فى وقفتها• ثم ألقت نظرة الى ما وراءها ورأته

لايزال في وقفته ، وهو يرنو اليها بعينين تطل منهما روحه ، فتخضب وجهها ، وخفضت من بصرها ، ولكنها سرعان ما عادت ترنو اليه بنظرة تنم عن رضائها

واقبل الترام ، فتقدمت منه الفتاة وهي ممسكة بيد رفيقتها العجوز ، وما كان أسرع حمدى الى اقتفاء الاثر، والركوب في ذلك القطار ، والجلوس أمامها

وازداد تخضب وجه الفتاة ، واصبحت لاتدرى الى أين توجه نظراتها ، ولكنها ، على الرغم منها ، كانت الفينة بعد الفينة تختلس النظر الى حمدى ، فرأته شابا في مثل سنها ، وسيم الوجه ، خمرى اللون، معتدل الشطاط ، حلو النظرات

وهبطت من الترام ، وهبط حمدى في أثرها ، ودخلت دارها ،دون أن تلقى نظرة الى ما وراءها

□

وقالت الام :

ـ وهل رأيتها يا حمدى ؟

ـ نعم يا أماه

ـ وأين ؟

ـ في الترام وفي الطريق

ـ أهي جميلة ؟

ـ انها مثل الاعلى في الجمال ٠٠٠ وفي كل شيء

ـ انك شاب يا حمدى ، وانى لأخشى أن يكون هذا منك نزوة سرعان ماتنطفيء وتخمد

ـ كلا يا أماه ٠ انها فاتنة في حسنها ، خلابة في جمالها ، انها رائعة ٠٠٠ رائعة ٠٠٠

ـ حسبك مرة واحدة ٠ ولكن لابد لى من رؤيتها

ـ ستزينها ولكن للبت مع أهلها في أمر الزواج ٠ ستذهبين ، لا للتفرس فيها وعجمها بأنظارك ، بل للاتفاق مع أبيها وأمها على الزواج

ـ هذا شأنك يابنى ، وما أريد أن أتدخل فيه الا بالنصح لا أكثر ، وكل ما أرجوه أن تتئد وأن تزن هذا العزم مع عواطفك حتى اذا أيقنت من صدق رغبتك عهدت الى بالسعى ٠ وما مكان أسرتها ؟

ـ لاتقل عن أسرتنا حسبا ومحتدا، وان كانت أقل منا ثراء

ـ أموقن أنت من حقيقة هذه البيانات

ـ لقد بحثت كل شيء حتى عرفت عن أسرتها وعن نفسها كل مايعنى به مثلى

ـ اذن فأنت ابن أبيك حقا

فبسم حمدى وقال :

ـ أكان أبى دقيقا الى هذا الحد يا أماه ؟

فغامت عيناها ، وبدا فيهما الكمد الدفين ، وقالت في صوت القاضى الذى يصدر حكما

ـ لقد كان رجلا

وشعر حمدى بالكبر والزهو، فاقبل على أمه وقد التمعت عيناها ، وطوق كتفيها بذراعه وقال :

ـ انى فخور بأبى يا أماه، كما انى فخور مزهو بك

وساد صمت طويل قطعته الأم أخيرا بقولها :

ـ الى الغد اذن ياحمدى،وسأبلغك ما تم

وماجت الدار بمدعويها ، وتألقت الانوار فى كل ركن فيها ، وكانت الموسيقى بالباب تعزف السلام لكل قادم ، وهى بين حين وحين تعزف ألحانا شجية ، والقوم يروحون ويغدون حتى ليضطرب البصر اذا تتبعهم فى روحاتهم وغدواتهم ، وكان حمدى مشرق الوجه ، وضاء المحيا باسم الثغر ، بادى الهناء والسعادة ، وكان نشاطه عجيبا يغلب على حركاته ، فما كان يسكن أو يستقر فى مكانه ، فكان دائم التنقل هنا وهناك ، ومن ناحية الى أخرى ، ومن صديق الى قريب ، وما كان يجيب سائليه ومحدثيه الا باعذب الالفاظ وأرق اللهجات

ألم يكن سعيدا موفقا ؟

ألم يظفر بالتى فتن بحسنها ، وخلب بجمالها ، وسحر بخفة روحها ورشاقة قدها ؟

ألم ينل الامنية التى كان يرجوها من دهره ؟

أليست هى ليلة زفافه الى فاتنته ؟

وكانت المطربة بين السيدات تردد بعض الاغنيات ، والمدعوات يقبلن على سماعها فى شوق ولهفة وسرور ، والهرج والمرج يسودان كل غرفة ، والعروس جالسة على مقعدها تحيط بها أترابها ، وهن يتبادلن النكات والضحكات الفضية الناعمة ، والغمزات واللمزات على العجائز

والعروس جالسة لاتشترك فى الحديث ولكنها تبتسم اذا راقت لها نكتة أو ملحة ... ثم يشرد ذهنها ، وتفكر فى عريسها • وانها لتحس بكل ماسمعته من أترابها اللاتى تزوجن قبلها من ان كل واحدة منهن كانت تود لو ان عقارب الساعة أسرعت حتى يحين الوقت الذى يقبل فيه عريسها ، ويأخذ بيدها ، وينقذها من هذا الضجيج الرهيب الذى تحس منه بطرقات المطرقة من كل ناحية من رأسها

وخفق قلبها حين سمعت ان العريس فى طريقه اليها

واقبل حمدى يختال فى بردته الانيقة ، وهو باسم الثغر ، مشرق الطلعة ، وقد تخضب وجهه ، وبرقت عيناه . وجلس على المقعد الى جانب عروسه ، وهو غير مصدق أن أحلامه قد تحققت وان هذه التى فتنت لبه قد أصبحت زوجته ، وانه يستطيع أن يحادثها ويمتع ناظريه بجمالها وحسنها

□

وشقت الجموع واحدة عجوز فى ثياب براقة غير مهندمة ، وتقدمت من العروس ، ومدت يدها اليها وهى تقول :

ـ أنا اليوم من أسعد خلق الله يا ابنتى

وضحكت فتاة من هيئتها ولهفتها فالتفتت اليها العجوز وقالت :

ـ لم الضحك ؟ هذه ابنتى التى أرضعتها وربيتها ، فلى عليها حق الام

واذ ذاك انبرت لها سيدة وقور من وسط هذا الحشد ، وامسكت بذراعها وقالت لها :

– ألست أنت أم حسين ؟
– نعم يا سيدتى
– ألا تذكرينني ؟
فحدقت أم حسين فيها طويلا ثم برقت عيناها فجأة وقالت فى لهجة سرور عظيم
– طبعا ياسيدتى . أنت عزيزة هانم . أليس كذلك ؟
فاربد وجه عزيزة هانم وقالت
– ألم تكونى مرضعة عندى يا أم حسين ؟
– بالتأكيد . أنا التى أرضعت سيدى الصغير . كيف هو الآن ؟ وكيف حال سيدى الكبير ؟
فقالت عزيزة هانم وهى متجهمة الوجه
– أما سيدك الكبير فقد توفى الى رحمة الله . وأما سيدك الصغير التى أرضعته فهذا هو !!
وأشارت الى حمدى الجالس الى جانب العروس ، وكأنما امتد أصبع القدر ليفرق بين حمدى وبين التى كان يعدها عروسه حتى هذه اللحظة الرهيبة
وانفض الحفل

وقفلت العروس راجعة الى دارها، وزف حمدى الى همومه
وقالت عزيزة هانم لابنها حمدى تسرى عنه همه
– علينا أن نحمد الله يابنى ان ظهرت أم حسين على المسرح قبل أن تقع الطامة وتتزوج من أختك فى الرضاع
على أن حمدى ثار وقال :
– لو أنك يا أماه لم تعهدى الى هذه المرأة بارضاعى لما حرمت من مثل هذه الزوجة التى كنت أنشدها لنفسى
– لقد كان لى العذر اذ ذاك ، ولا تنس ان هذا قضاء الله ، وان يد القدر هى التى صوبت الى قلبك هذا السهم الدامى، فلم يقع اختيارك الا على من كانت أختك فى الرضاع
– ومن يعلم ماذا كان من أمر غيرى ! وها أنا ذا يا أماه قد حرمت منها زوجة وسأحرم منها أختا
فطفرت الدمعة من عينيها وهى تطوق عنقه بذراعيها ، وتطبع على جبينه قبلة أودعتها كل حنان الامومة



الى البحر

بمصيف رأس البر

بقلم الأستاذ طاهر الجبلاوى

نسيمك خفّاق الجوانح لاعبُ ... وماؤك هدّار الخناجر واثبُ
وموجك دفّاق الأواذى لم يزل ... تجاذبه نحو الرمال جواذب
على الثبج الموّار منه تتابعت ... صفوف لها مثل الدمقس ذوائب
يصرّفها من جانب الغيب عازف ... له انتظمت حلقاتها وهو غائب
على مسرح للعين والأذن جانب ... وللنفس فى مرآه والعقل جانب

▭

وردتُكَ والمصطاف يا بحر حافل ... وحولك أناس وفيك ملاعب
وألقيتُ أعبائى برملك فانطوت ... بأجوافه وانجاب منها غياهب
وأقبلت أحسو تحت أقدامك المنى ... وأنهب صفو العيش وهو مصاقب

▭

صباحكَ رأسَ البر جذلانُ وادعٌ ... وليلُك رفافُ الجوانب حادب
وبحرك للضيفان فيه بشاشة ... على شاطىء المصطاف منها مواكب
تخف لها الأرواح فى كل لفتة ... وتهفو لها الأنسام وهى جوائب
لنا زورة فى كل عام نُعيدُها ... وفى النفس شوق نحو مغناك غالب
نَعُدّ الليالى نحوها وهى رحّلٌ ... ونطرب للأيام وهى ذواهب



كيف لا أغفر

بقلم الأستاذ حسين محمد القبانى

كان الظلام لايزال كثيفا فى مخدعى ، حين فتحت عينى على رنين ساعة الجامعة وهى تدق الرابعة صباحا ، وبقيت فى فراشى برهة ، وانا مستغرق فى شعور غامض حزين تشيعه فى نفسى نغمات حزينة مضطربة تنبعث من بيانو فى المسكن المواجه لمسكنى

لقد خيل الى اثناء النوم انى سمعت هذه النغمات للمرة الثالثة فى اسبوع واحد ، اى منذ انتقلت الى مسكنى هذا الجديد . وكانت النغمات فى المرة الثالثة ، كما كانت فى المرتين السابقتين .. تبدأ أولا بلمسات عذبة ساحرة ، لا تخلو من رنين حزن واسى ، كأنها تنبع من قلب مشبع بالالم الدفين ، ثم يضطرب اللحن فجأة اضطرابا عنيفا كأنه صرخات معذب محموم

وتأتى النهاية اخيرا كأنها طائر يهوى مكسور الجناح .. !

ولكنى ـ فى هذه المرة ـ كنت مرتابا فيما سمعت ، فلم أكن أدرى على التحقيق هل كانت هذه النغمات التى سمعتها اثناء النوم مجرد صدى للمرتين السابقتين ، أم حلم نابع من عقلى الباطن ، أم هى حقيقة ماثلة ؟ لم أكن أدرى الا أن هذا الشعور الغامض الحزين كان يغمر نفسى وأنا أفتح عينى فى ظلمات الغرفة ونهاية اللحن الحزين فيتردد فى أعماق وجدانى

وانا ـ كما تعلمون يا اصدقائى ـ شاب مرهف الاحساس ، أشتغل بتدريس مادة الرسم بالمعاهد الفنية، أعزب، أعيش وحيدا مع خادم صغير فى مسكنى هذا الجديد، وان احساسى المرهف ليصور لى ألوانا مختلفة

لعازفة البيانو هذه التى لم ارها من قبل ..

انها ولا ريب من بنات حواء ، وهناك ، ولا ريب ، حزن وحرمان واضطراب يفيض من قلبها فاذا هو هذا اللحن ، الذى يثير كل هذه المعانى من قلب سامعه

وانا ، حتى هذه الليلة ، لم اكن اعرف شيئا عن سكان هذه الشقة المواجهة لمسكنى عبر الشارع الضيق ، فما رايت خلال الاسبوع الذى مضى على اقامتى غير النوافذ وأبواب الشرفات المغلقة ، ولكنى كنت أسمع احيانا بعد الغروب،وفى هدوء الليل، همهمة حديث متبادل بين سيدة وفتاة .. فصوت السيدة لا يخلو من هذه الغلظة التى يطبعها مرور الزمن على أوتار صوت الناس .. وصوت الفتاة ينم ،برقته ووداعته، على ان صاحبته لم تزل فى ريق الصبا .. ولكن ، فى ذات الوقت لم يكن يخلو من نبرات واضحة تكشف عن الاسى العميق فى نفس الفتاة . فهل ترى هى نفسها عازفة البيانو ؟

ونهضت من فراشى ، والقيت على كتفى رداء البيت ، ومضيت نحو باب الشرفة ، فرفعت الستائر وفتحت المصراع الزجاجي ، ولكنى ما كدت امد يدى الى مقبض الباب الخشبي حتى لمحت من خصاصاته فتاة واقفة فى شرفة المسكن المواجه، وقد اعتمدت بيديها على السياج وراحت ترنو الى النيل السارى غير بعيد

وكانت أضواء الفجر الشاحب تنساب هادئة لتسطر على الكون آية من آيات الله الخالدات ، وكانت طلائع شمس الصباح تتحسس بأناملها النورانية اعالى البيوت وجوانب الشرفات ، وتلمس برفق شعر الفتاة الذهبى المتهدل على وجهها الشاحب

ورغم انى كنت اعلم تماما ان اختلاس النظر الى الجيران امر لايليق ، فقد عجزت عن السيطرة على غريزة الفضول التى جعلتنى اختلس النظر الى هذه الفتاة وانا اتساءل : ترى هل هى نفسها عازفة النغمات التى تبدا فى عذوبة وجمال، ثم تضطرب فى عنف ، ثم تتلاشى مبتورة كأنها طائر كسير الجناح

وفجأة التفتت هى نحو باب شرفتى المغلق ، واجفلت فى اضطراب كأنما شعرت بنظراتى المختلسة اليها فتراجعت وأغلقت الباب ولكنى لمحت ، قبل ان تغيب ، قطرات من الدموع تلمع فى اهدابها

ترى اهذه الدموع تفسير مجسم للنغمات الحزينة المضطربة ؟!

ان الايام تمضى وأنا امعن التفكير فيما رايت ، وانى لازداد تفكيرا كلما تهادت الى اذنى هذه النغمات التى قد تختلف احيانا ولكنها تحتفظ دائما بطابعها .. رقة وعذوبة .. ثم حزن واضطراب .. ثم النهاية المعروفة

وفيما انا اهم ذات ليلة بالنوم فى مخدعى ، اذا باحد هذه الالحان يصافح اذنى ، واذا هذه المشاعر

الحزينة تغمر نفسي ، واذا انا اتساءل : ما خطب هذه الفتاة ؟ ماسرها ؟ ماهذه الشرفات والنوافذ المغلقة كانها تنطوى على اشباح واطياف ، وعلى فتاة حزينة دامعة العيون ، ترسل اضواءها فى نغمات كلها الاسى والشجن ؟

وظلت هذه الاسئلة تدور فى ذهنى ، وتشيع الاضطراب فى نفسى ، فنهضت من الفراش ، ومضيت الى باب الشرفة ، وانا أزمع ان اجلس فيها قليلا حتى تهدأ أعصابى فى سكون الليل ، وفى ضوء القمر

وقبل ان ادير مقبض الباب الخشبى للشرفة ، رأيتها للمرة الثانية من خلال الخصاصات ، تماما كما كانت فى المرة السابقة غير أن فيضا من نور القمر كان يكسوها ، وكان جسمها الرقيق يهتز بنحيب خافت وآهات مكتومة ، وفجاة رايتها ترفع وجهها الى السماء وتهتف بصوت صادر من الاعماق :

ــ يارب .. يارب .. يارب .. ولم استطع ان اطيل النظر الى هذه الفتاة الواقفة فى خشوع بين يدى الله ، تناجيه وتهتف باسمه ، فتراجعت الى فراشى والقيت بنفسى عليه ، وانا فى شبه ذهول ، فقد كان نحيب الفتاة الخافت وهتافها باسم الله فى سكون الليل ، اقسى مما يحتمله قلب فنان مرهف الاحساس وتمنيت فى تلك اللحظات لو كان فى مقدورى ان امحو عن قلب هذه الفتاةماينوء به من حزن ، ولكنى عدت اتساءل : ما هو سرها ؟ اهى تعانى من مرض لاشفاء منه ؟ امهى الاعصاب حين تضطرب ، أم هوهذا السر الرهيب الذى يشقى كل عذراء .. ضلت الطريق ؟

وأدركنى الصباح بسر هذه الجارة الحزينة .. أو على الاصح .. ببعض هذا السر !

فقد كان من عادة صاحبة البيت الثرثارة أن تحدثنى باخبارالجيران كلما صعدت الى لاكتب لها ايصالا او شيئا من هذا القبيل ، وقد قصدتنى فى ذلك الصباح قبل أن أمضى الى المعهد ، وراحت كالمعتاد، تثرثر عن الجيران حينا،وعن زوجها المرحوم حينا ، وعن بناتها الثلاث العذارى .. دائما ، ثم اذا هى تنحرف الى الحديث عن سكان الشقة المواجهة لشقتى ، فقالت:ان ساكنهارجل عجوز محال الى المعاش، وزوجته الكهلة ، وابنته الفتاة التى يقال أن لها أختا هربت من بيت أبيها ولا يعرف احد من أمرها شيئا ، ولهذا فان الوالد منطو على نفسه وأسرته ، لايزور احدا ولا يزار .. ومضيت الى عملى فى ذلك اليوم وقد عرفت السر فى حزن الفتاة ..ولكن .. ما ذنبها هى اذا كانت اختها قد ضلت فى الحياة طريقها

ايجوز ان تعيش هى لتكفر بالحزن والالم والعزلة عن خطيئة أختها ؟

انني شخصيا ، رايت ان هـذا لايجوز ..

وظلت هذه الافكار تختمـر فى ذهنى حتى شعرت ذات يوم انني لن أسعد فى الحياة الا اذا أسعدت هذه الفتاة ..

وليكن هذا الشعور نابعا من حب مستور أو من عطف جميـل .. فماذا يهم ؟

▭

وحدثت أختى الكبرى ، بأمر الفتاة ، وطلبت منهـا ان تمضى وتخطبها لى من والديهـا ، ولكنى فوجئت بها تقول بوجه مقطب :

ـ اتتزوج يا حمدى من فتاة لها اخت هاربة ؟

ـ ما لنا ولاختها .. ان الله غفور رحيم ..

ـ ولكن اختها الهاربة ستكون خالة لاولادك وبناتك .

ـ ولو .. اذا لم تتسع قلوبنا للرحمة والمغفرة ، فان الحياة تصبح جحيما ..

وقبلت اختى رجائى ، ومضت الى سكن الفتاة فى يوم محدد ، حتى اذا عادت قالت فى مكر :

ـ انها جميلة حقا ياحمدى .. واسمها سناء ..

ـ هل وافق أبوها ؟

ـ مبدئيا .. امهلنى اسـبوعا ليخبرنى برايه الاخير ..

ثم أردفت ضاحكة :

ـ ليقوم بالتحريات اللازمة عنك .. كالمعتاد !

ـ الم تفاتحيه فى موضوع الشبكة والمهر ؟

ـ قال ان هذه مسألة ثانوية ..

▭

وانقضت الايام السبعة وانا لا يهدأ لى بال ، وبقيت نهبا للامل والقلـق حتى جاءنى فى نهاية الاسبوع رسول من لدن والد الفتاة ، يطلب منى ان «اتفضل» مع أختى بزيارته فى موعد محدد

وهناك ، فى المسكن الانيق المرتب ، جلست اتبـادل الحديث مع الوالد الشيخ ، وجلست أختى تتحدث مع الوالدة الكهلة ، وبعد فترة من القلق ، دخلت سناء تحمل اكواب الشربات فى خطوات ثابتة ، فرفعت عينى الى وجهها وانا ارجو ان المح فيه ومضة من الرضى والسرور ، ولكنى فوجئت بامارات الحزن تشيع فى قسـماته كالمعتاد ..

واعترف انى غادرت المسكن وانا مضطرب النفس ، رغم ان الاتفـاق على كل شىء كان قد تم بينى وبين والدها الذى حدد مهلة شهر لتقديم الشبكة وعقد القران فى ليلة واحدة

وبدات الوسـاوس تنتابنى .. لماذا لم تسعد سناء بخطبتى لها ؟ .. اهى لاتزال تذكر اختها وماتعانيه فى حياتها من تشرد والام ؟ .. ام انها مشـغولة القلب بحب شاب آخر برفض ابوها أن يزوجها به ؟

آه .. لشد مايعتصر هذا الاحتمال الاخير قلبى بأنامل من الغيرة والشك وازدادت نوازع الشك فى نفسى



« واقبلت السيدة ، ورفعت النقاب عن وجهها ، فاذا هي نفسها سناء »

حين لمحتها مرة أخرى فى شرفة مسكنها ، ترنو بذهول الى النيل السارى غير بعيد .. والدموع تتألق فى أهدابها ..

وعندئذ فقط .. بدأت أفكر فى فسخ الخطبة .. ولم لا ، وقد رأيت انى بخطبتى لها لم أسعدها ولم أمح الدموع من عينيها ..

▭

وفيما انا مستغرق فى مثل هذه الافكار ذات ليلة ، اذا بخادمى يعلن قدوم سيدة تضع على وجهها نقابا كثيفا ، وتلتمس مقابلتى ، فأذنت له بادخالها ، ونهضت لاستقبال هذه السيدة التى تريد رؤيتى فى سكون الليل .. وسأترك لكم يا أصدقائى أن تتصوروا مدى دهشتى حين أقبلت السيدة ، ورفعت النقاب الكثيف عن وجهها .. فاذا هى نفسها .. سناء ..

قالت بعد أن استأذنت فى الجلوس

ــ أرجو أن تغفر لى جرأتى فى الحضور اليك فى مثل هذه الساعة

وقبل أن أجيب عليها بعبارة مناسبة ، أردفت قائلة :

ــ لقد جئت باذن من أبى..و..
و.. زوجته ..

ــ زوجته ؟!

ـ نعم .. ان السيدة زوجته التى اقيم معها .. ليست أمى ..

ـ آه ..

ـ وكان فى مقدور ابى أن يشرح لك الامر كله فى خطاب ، ولكنها أصرت ان اعفيه من هذه المهانة وان اشرح لك بنفسى كل شىء

ـ اننى لا اكاد افهم ..

ـ الم تسمع اشاعة عنا ؟

ـ نعم .. نعم .. ولكن .. ان الله غفور ستار

ـ ومع ذلك تقدمت لطلب يدى

ـ وما ذنبك انت ؟!

ـ شكرا .. ولكن .. ما رايك اذا عرفت أن التى هربت من بيت ابيها هى انا .. وليست اختى ..

ـ انت ؟ !

وخيل الى كأنى فى حلم وهى تقص على من امرها عجبا :

□

كانت تعيش مع اختها وابيها وزوجته فى عاصمة احدى مديريات الوجه البحرى ، وكان ابوها ـ ولم يزل ـ من المتزمتين المسرفين فى المحافظة على التقاليد وحجاب المراة ، فهو لايسمح لاحد من أهل بيته فى الخروج او الاختلاط بالجيران ، بل ولا يسمح بفتح نافذة او باب شرفة تطل على مساكن الغير . وكان يحاول أن يخفف عن ابنتيه قسوة العزلة بالاكثار من شراء المجلات المصورة ، والسماح لهما بتلقى دروس فى العزف على البيانو على يد سيدة اجنبية عجوز وكانت سناء تهفو بكل كيانها الى مباهج الحياة خارج أسوار البيت .. انها ترى لمحات من هذه الحياة فى الصحف المصورة ، وانها لتقرا مدهوشة مفتونة اخبار هذه الحفلات والسهرات وما يجرى تحت الاضواء المتلألئة فى المساهر والمنتديات ، وما يدور تحت اجنحة القمر فى الرياض والخلوات .. كانت تقرا هذا كله فيتمثل لها احلاما ناعمة جميلة .. وهكذا كانت تهفو الى الانطلاق ولو لمدة يوم واحد ، فى هذا العالم الزاخر بالاضواء والانوار ، وبرنين الموسيقى وبسمات القمر ..

واخذت هذه الافكار والامانى تلح عليها فى عنف متصل ، فكانت تمضى الساعات الطوال فى يقظة حالمة تصور لنفسها ماذا تفعل اذا انطلقت فى هذا العالم العريض السعيد ! ان لها من الخبرة مايعينها على العمل كمدرسة للموسيقى او كاتبة فى شركة أو متجر كبير .. فاذا اتيح لها الحصول على عمل . فسوف يتسنى لها ان تعيش فى حرية ليس لها قيود او حدود الا ما تمليه قواعد العفة والخلق الكريم ..

وكانت واثقة انها تستطيع أن تحمى نفسها من ذئاب البشر اذا تعرضوا لها

وترسبت هذه الامانى فى اعماق نفسها حتى اصبحت جزءا من كيانها ، وحتى شعرت انها ستفقد عقلها اذا لم تقدم على تنفيذها

كان يخيل اليها أن جدران البيت تضيق عليها يوما بعد يوم، حتى لتكاد ان تزهق انفاسها، وأن هذه الجدران ليست الا اسوار سجن انفرادى تقوم على حراستها فيه زوجة أبيها بنفسية السجان الذى لا هم له الا الامعان فى اذلال السجين والقسوة عليه ...

وبدأت ذاكرتها تخونها، وأعصابها تضطرب، فهى تفزع من أقل حركة مفاجئة، وهى تسمع فى سكون الليل أصواتا تهيب بها أن تحطم القيود وتمضى الى العالم العريض السعيد ..

ولم تستطع الاستمرار فى مقاومة هذه الرغبة طويلا، فاستعدت للفرار خلسة، وجمعت بعض ثيابها وحليها الذهبية، وتسللت من البيت فى هدوء قبيل فجر أحد الايام

ركبت أول قطار فى المحطة دون أن تسأل عن وجهته، فقد كان كل همها أن تنطلق .. تنطلق الى أى مكان فى هذا العالم العريض السعيد، بعيدا عن الجدران الصماء، وزوجة الاب القاسية، والاب الصارم الذى لم تره يوما باسما ..

ووقف بها القطار فى محطة الاسكندرية، فهبطت منه بعد أن دفعت ثمن التذكرة مضاعفا، ثم ركبت سيارة مأجورة راحت تطوف بها شوارع المدينة وهى أشد ما تكون سعادة بحريتها وانطلاقها ..

وبعد أن استأجرت غرفة مفروشة فى بنسيون، هبطت الى المدينة تبحث عن عمل .. ولكن .. لم تلبث أن تبينت - فى ذعر وهلع - ان الثمن الذى يجب ان تدفعه للحصول على عمل .. فادح .. أفدح ما تستطيع أن تدفعه .. بأية حال!

كان كل صاحب عمل ينتهز فرصة وحدتها، ومأساتها، ويحاول ان يبدو فى سمات الملائكة وهو يخفى بين جنبيه قلب شيطان، وأخيرا التقت وجها لوجه بذئب بشرى رهيب .. لم يكن يخطر ببالها أبدا أن هذا الذئب سيكون فى سمت كهل فى نحو الخمسين من عمره، أشيب الشعر، وقور الملامح، هادىء الصوت، يظهر الشفقة والعطف، ويؤكد لها أنه سيحميها ويبحث لها عن عمل وأن يكون لها أخا ووالدا .. لم يخطر ببالها أبدا ان هذا كله سينتهى بها ذات ليلة الى مسكن فاخر الرياش، متلألىء الانوار، تسيل الخمر على موائده، وتملأ الموسيقى الراقصة أجواءه، وترتع فيه « بنات الليل » مع أخلاط من رجال وشبان، خرجوا من انسانيتهم، فاذا هم وحوش ..

ولم تدر سناء كيف وجدت نفسها فجأة بين يدى رجل مخمور يراودها عن نفسها بمعسول الحديث، ولكنها استجمعت أعصابها وقواها، فصدت الرجل عنها، فلما حاول أن يعنف ويشتد، ثارت وقاومت وملأت الجو صياحا، وكادت أن تمزق جسمه بعد ان مزقت ملابسه، ثم سقطت مغشيا عليها ..

وحين أفاقت من غشيتها وجدت

نفسها فى سرير مستشفى ، ولمحت بجانبهــا طبيبا كهلا نبيل البسمات علمت منه أنها ظلت محمومة تهذى بضعة أيام ، وانه ادرك من هذيانها كل شىء ، حتى اذا أفاقت ، راح يحدثها بصــوت هادىء عن العفة والشرف ، وعن وجوب احتمال كل شىء فى سبيل المحافظة عليهما

ولم تكن هى فى حاجة الى هــذا الحديث بعد أن كادت تضحى بحياتها فى هذا السبيل ..

وصحبها الطبيب الى عاصــمة المديرية التى هربت منها ، وهنــاك علمت أن اباها ــ خشية الفضيحة ــ طلب الانتقال الى مدينة فى الوجــه القبلى ، فلمــا بلغتها مع الطبيب ، تحدث هذا مع أبيها أولا ، حتى اذا ظفر بعفوه عنها ، عادت الشاردة الى ركن الامان

ولما كانت اختها قــد تزوجت فى الصعيد ، رأى الوالد أن يفر بابنته التائبة الى القاهرة بعد احالته الى المعــاش ، وبعد ان ظلت الشائعات تطارد الاسرة فى كل مكان

ولكن هذه الشائعات لم تكف عن مطاردتهم حتى فى القاهرة ، وكانت تتخذ الوانا مختلفة رغم انطواء أفراد الاسرة على انفسهم . فلما هبطوا ذلك الحى النائى ، دارت الشائعات حول اختهــا المتزوجة التى حسب النمامون المغتابون انها الاخت الضالة الهاربة !

وختمت سناء حديثها قائلة :

ــ هذه هى الحقيقة كلها ، اضعها بين يديك ، لا لابرىء نفسى ، وانما لتكون على بينة من الامر كله

ثم نهضت واردفت قائلة بصوت متهدج :

ــ فاذا رايت ان تعفو وتغفر ، فشــكرا .. واذا ابيت فان لك العذر ..

وافقت لنفسى ، فاذا انا اثب واقفا، وابسط يدى اليها اشد على يدها قائلا :

ــ كيف لا اغفر يا سناء ، من انا بجانب الله الذى يغفر لعباده الذنوب جميعا اذا شاء ؟ ان المحنة التى مرت بك بلا شك قد فتحت عينيك على شىء كثير من حقائق الحياة ..

وحاولت سناء ان تقول شيئا .. ولكنها انحنت فجاة وطبعت على يدى قبلة اودعتهــا كل احساس بالشـــكر وعرفان الجميل ، ثم استدارت وانصرفت مسرعة ..

وبقيت برهة واقفا فى مكانى انظر الى يدى ، الى موضع القبلة واشعر بسعادة تملأ على وجدانى . لم اكن ادرى هل كانت هذه السعادة تنبع من قلبى الذى غفر ام هى صدى لما امتلأ به قلب ســناء من رضى وغبطة وابتهاج !

وفيما انا كذلك ، اذا هى تبعث الى .. من مسكنها .. بشــكرها واعترافها بالجميل .. انغاما سعيدة راقصة ، كانها طيور هانئة ترفرف فى الجو منتشية بجمال الحياة .. انغاما لم يكن فيها رنين حزن واسى .. ولم تضطرب او تتعثر .. ولم تنته مبتورة كانها طائر يهوى مكسور الجناح ..

أم خليل تأسر ملك فرنسا

وتطرد الفرنسيين والانجليز من الأراضى المصرية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

- فرنسا تنظم العدوان على مصر لاغتصاب فلسطين وبيت المقدس
- الفرسان المصريون يهزمون الفرسان الانجليز والفرنسيين بقيادة الامير بيبرس البندقدارى
- لويس التاسع يطلب الامان ويسلم نفسه للمصريين ثم يفتدى نفسه باربعمائة الف دينار

انها قصة من اروع قصص الكفاح الوطنى فى تاريخنا ، ليس فقط لانها تمثل عدوان الغرب على مصر فى ابشع مظاهره ، وتمثل كفاح مصر لتحطيم هذا العدوان فى أقوى وأعظم صورة، بل وكذلك لان محور هذه المقاومة ، ومرجع هذا الكفاح هو امرأة ، هى شجرة الدر ، وهى التى اختارها القدر لتضطلع بدور البطولة فى هذه المعركة العظيمة الحاسمة

أخذت أمم الغرب منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ترسم خططها لمهاجمة الشرق الاسلامى ، وتحطيم دوله والقضاء على حرياته ومدنيته ، فكانت تلك الحروب العدوانية المتوالية التى عرفت بالحروب الصليبية ، والتى اتخذ فيها الدين ستارا لمشاريع الغرب الاستعمارية . وكانت مصر ، وهى يومئذ معقل الشرق الاسلامى ، وتشمل الشام وفلسطين مثوى البقاع النصرانية المقدسة ، مهبط الحملات الصليبية . وقد نجحت أمم الغرب فى البداية فى انتزاع فلسطين وثغور الشام ، واقامة المملكة اللاتينية الفرنجية فى بيت المقدس . ثم كانت نهضة مصر فى ظل الملك الناصر صلاح الدين ، فتغيرت الاوضاع بسرعة، واستطاعت مصر ان تهزم الصليبيين فى عدة مواقع ، وأن تقضى على المملكة

اللاتينية ، وان تسترد بيت المقدس وفلسطين . وهنا شعر الغرب ، بأن مشاريعه أضحت على وشك الانهيار ، فضاعف جهوده فى حشد قوى العدوان ، واتجهت خططه يومئذ الى محاولة غزو مصر ذاتها ، وتحطيم قواها ، اذ هى الصخرة التى تتحطم عليها مشاريعه . وهكذا قصد الصليبيون مصر لاول مرة ايام الملك الكامل ، واستولوا على ثغر دمياط (٦١٥ هـ — ١٢١٨ م) ولكن هذه المحاولة الاولى انتهت سريعا بعقد الصلح ، وانسحاب المعتدين من الأراضى المصرية

على انه لم يمض على ذلك ثلث قرن آخر حتى عادت قوى الصليبيين الى غزو مصر . وكان الملك الكامل قد توفى اثناء ذلك ، وخلفه ولده الملك العادل ، ثم ولده الآخر الملك الصالح . وكان الملك الصالح قبل ان يتولى الملك نائبا عن ابيه فى حكم الولايات الشرقية ، فقدم الى مصر فى أواخر سنة ٦٣٧ هـ ، ومعه « شجرة الدر » جاريته وحظيته وام ولده الطفل خليل . ولا تحدثنا الرواية بشىء عن اصل هذه المراة او نشأتها فهى لم تكن الا واحدة من الوف الجوارى اللائى كانت تغص بهن قصور الخلفاء والسلاطين فى تلك العصور، ولا نعرف عنهن شيئا الا حينما يسطع نجمهن فيغدون « امهات ولد » ينجبن الخلفاء والسلاطين ، او ينزلن بذكائهن وسحرهن الى ميدان السلطة والنفوذ

كانت شجرة الدر واحدة من هؤلاء . بيد ان الرواية من جهة اخرى تصفها بانها كانت امراة بديعة الخلال ، وافرة الجمال والسحر ، حسنة التثقيف ، بارعة فى القراءة والكتابة . وتنوه الرواية فوق ذلك بوفرة ذكائها ودهائها ، وحسن تصريفها للأمور . واذن فلم تكن شجرة الدر غانية فقط ، ولكنها كانت فوق ذلك تتمتع بشخصية قوية . وقد استطاعت ان تحرز بخلالها وقوة نفسها مكانة ممتازة لدى سيدها ، فكانت حظيته الأثيرة، وتوثقت مكانتها بمولد ولدها خليل، وبرزت الأمومة من بين صفاتها فعرفت « بأم خليل » وغلب عليها هذا اللقب حتى بعد وفاة ولدها طفلا ، ولازمها طول حياتها . وكان الملك الصالح يشغف بجاريته « شجرة الدر » حبا، ويقدر مواهبها ورجحان عقلها ، وكانت مذ جمع القدر بينهما تعاونه فى تدبير الأمور بحكمتها وصائب رأيها ، فلم تلبث أن تبوأت فى البلاط وفى الدولة أسمى مكانة ، وغدت ملكة غير متوجة ، تستأثر بكل رأى وتوجيه . ورأى الملك الصالح ان هذه المراة الموهوبة الساحرة التى فتنته بخلالها الرفيعة تستحق ان تكون اكثر من جارية اثيرة ، فاعتقها وتزوجها ، وأضحت بذلك سيدة القصر الشرعية. وكانت عندئذ فى نحو السابعة والعشرين من عمرها

وقضى الملك الصالح زهاء عشرة اعوام فى الملك، وخاض مع الصليبيين عدة معارك ناجحة . ولكنه اصيب فى اواخر عهده بمرض عضال اقعده

عن السير ، فكان يحمل أينما سار في محفه . وكان قد سار في قواته شمالا الى الشام لمحاربة بعض الخوارج عليه،ولكن بلغته الانباء عندئذ بأن حملة صليبية ضخمة في طريقها الى مصر ، فاضطر الى العود مسرعا ، وقد اشتد به المرض ، ونزل بقواته في بلدة اشموم طناح على مقربة من دمياط التى كانت فى ذلك الحين مقصد الغزاة ، وطريقهم المفضل لمهاجمة مصر . وكان ذلك في المحرم سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩ م)



شجرة الدر .. كما تخيلها رسام الهلال

وكانت فرنسا هى منظمة هذا العدوان الجديد على مصر ، وقد اجتمعت تحت لواء ملكها لويس التاسع المعروف بالقديس لويس أعظم حملة صليبية سيرها الغرب الى الشرق . ووصل الغزاة الى المياه المصرية تجاه ثغر دمياط فى شهر يونيه سنة ١٢٤٩ . وفى الحال اوفد لويس التاسع رسله الى ملك مصر بكتاب ينذره فيه بوجوب الخضوع والتسليم . وكان الملك الصالح مريضا كما تقدم، فاغرورقت عيناه بالدمع ، ووقع الذعر والاضطراب فى البلاط . وكانت شجرة الدر يومئذ الى جانب السلطان ، فسرعان ما استطاعت ان تبث الى رجاله روح العزم والثقة . وفى الحال رد السلطان على ملك الفرنج بكتاب يرد فيه الوعيد بالوعيد ، ويذكره بما أحرزته مصر على الصليبيين من الانتصارات ، وينذره بأنه سوف يغدو صريع عدوانه وبغيه

ولكن الفرنج نزلوا الى البر فى اليوم التالى ، وبادروا بمهاجمة المسلمين امام ثغر دمياط . فدب الذعر الى حاميتها ، وما كاد الليل يرخى سدوله حتى غادر المسلمون قواعدهم ، وارتدوا جنوبا الى المعسكر السلطانى ، وهرع فى أثرهم أهل دمياط فارين هلعين ، ودخل الفرنج دمياط دون قتال ولا مقاومة،

واستولوا على ما فيها من الذخائر والاقوات

وعندئذ ارتد السلطان بقواته الى « المنصورة » وهى المحلة التى انشأها أبوه الملك الكامل على النيل حينما هاجم الصليبيون دمياط لاول مرة ، ونزل بقصرها المتواضع. وامر السلطان بتجديد المنصورة وتحصينها ، وهرعت القوات المصرية من كل صوب الى تلك القاعدة الحصينة، وقدم أسطول من الشوانى الحربية ورابط فى النيل تجاه المدينة وبذل المسلمون غاية جهدهم لمواجهة الخطر الداهم . واخذ الفرنج يتأهبون للزحف صوب الجنوب وبدات المناوشات تنشب تباعا بين طلائع الفريقين

واستمر الامر على ذلك بضعة اشهر والمرض يشتد بالسلطان شيئا فشيئا، وحالة التوجس والقلق تسود المعسكر السلطانى . واخيرا توفى السلطان فى شهر نوفمبر ١٢٤٩ ، وكانت وفاته فى تلك الأونة العصيبة ضربة مؤلمة تنذر بانهيار كل تدبير واهية ، وتمهيد السبيل امام العدو المغير لتحقيق مشاريعه الآثمة

ولكن القدر كان رحيما بمصر . وقد شاء القدر ان يختار لانقاذ الموقف ، واتقاء الكارثة ، تلك الشخصية القوية الموهوبة ، شجرة الدر

[]

قدرت شجرة الدر فى الحال خطورة الموقف ، وادركت ما قد تثيره وفاة السلطان فى تلك الأونة الدقيقة من بوادر الخلاف والشقاق، فتناولت الامر فى الحال بيديها القويتين ، واستدعت الامير فخر الدين يوسف كبير الخاص، ومحسن الطواشى وصيف السلطان ، واوصتهما بكتمان موت السلطان خوفا من سوء العواقب ، واتفقت معهما على تدبير أمور الدولة حتى يحضر ولد السلطان الملك المعظم من حصن كيفا ، فصدعا بالامر واخذ العهد بالكتمان على كل من وقف على موت السلطان ، وارسل جثمان الملك الراحل فى تابوت الى القاهرة تحت جنح الظلام ، وبقيت الخدمة السلطانية على حالها ، والامراء يحضرون للخدمة كالعادة ، وشجرة الدر تقول لهم : « السلطان مريض ما يصل اليه أحد » . ونفذت هذه الخطة البارعة بمنتهى الاحكام ، وسارت الامور على ذلك حينا

ولكن الفرنج وقفوا فيما يظهر من جواسيسهم على نبأ وفاة الملك الصالح ، ورأوا الفرصة صالحة للسير لقتال المسلمين . فزحفوا جنوبا نحو بلدة فارس كور (فارسكور الحديثة) ، وسفنهم تسير بحذائهم فى النيل ، واخذ المسلمون يستعدون للقتال . واخيرا وصل الفرنج الى شرقى المنصورة وكان يفصل بينهم وبين المسلمين بحر اشموم . واقتربت قواتهم البحرية فى النيل من المنصورة : وكانت الشوانى المصرية ترابط ازاءها . ونشبت بين الفريقين مدى اسابيع معارك محلية كانت

سجالا وبذل الفرنج جهودا عنيفة لكي يقيموا جسرا على بحر اشموم، يعبرون عليه الى المسلمين . ولكن الحراقات المصرية استطاعت أن تحبط هذه المحاولة بنيرانها المتوالية، وكانت هذه الحراقات ترسل نيرانها المروعة على معسكر الفرنج فتحدث فيه اعظم الذعر ، وكان المسلمون ينفردون يومئذ بمعرفة سر هذا السلاح الرهيب الذى لعب اعظم دور فى الحروب الصليبية . واخيرا وقف الفرنج على وجود بعض المخالض فى بحر اشموم ، فعبروا منها الى البر الغربى ، وفاجأوا المسلمين بالهجوم ، وكانت مفاجاة عنيفة احدثت فى المعسكر الاسلامى اسوأ الأثر ، فساد الاضطراب بين المسلمين ، ووصلت طلائع الفرنج الى ابواب القصر السلطانى ، وهى تثخن فى المدافعين ، وكادت الدائرة تدور على المسلمين ، وتحيق بهم الهزيمة المروعة . ولكن حدثت عندئذ مفاجاة لم يتوقعها الفرنج . وذلك ان الحرس السلطانى المكون من المماليك البحرية او رجال « الحلقة » الذين عرفوا بالمهارة وشدة البأس ، اطبقوا على الفرنج بقيادة زعيمهم بيبرس البندقدارى، وحملوا عليهم بشدة متناهية حتى مزقوهم عن آخرهم ، وقتل الكونت دارتوا قائد الفرنج ومعظم رجاله ، ولم يبق من فرسان « الدواية » سوى افراد قلائل ، وهلكت فى تلك الموقعة زهرة الفرسان الانجليز والفرنسيين ، وارتدت فلول الفرنج عند مغيب الشمس الى قواعدها محطمة دامية ، وكان ذلك فى يوم ٩ فبراير سنة ١٢٥٠ م

تلك هى المرحلة الاولى من موقعة المنصورة الشهيرة التى خلدت فى صحف مصر ، بيد انها لم تكن الخاتمة ، وكان مقدرا أن يشهد الفرنج ذروة المحنة ، وان يجرعوا الكأس الى الثمالة . وأرسلت انباء النصر فى الحال الى القاهرة وزينت المدينة ابدع زينة ، وكان يوما مشهودا

□

كان وراء هذه الحوادث الخطيرة شبح المرأة العبقرية شجرة الدر فقد كانت تلك المرأة الباسلة وقت هجوم الفرنج فى القصر السلطانى، ولما وقعت الصدمة الاولى ، ولاحت طلائع الهزيمة لم يخب عزمها ، بل لبثت رابطة الجأش ، تعاون برأيها وتشجيعها فى توجيه المعركة . ولما زال الخطر ورد الفرنج مدحورين الى مراكزهم ، قامت شجرة الدر بتولى شئون الجيش بنفسها ، الى جانب شئون المملكة حتى قدم السلطان الجديد الملك المعظم توران شاه ، فاستقبلته شجرة الدر بحفاوة وسلمت اليه مقاليد الامور

وفى اثناء ذلك كان الفرنج فى مراكزهم فى حيرة واضطراب . وكانت المؤن تأتيهم فى السفن من دمياط عبر النيل ، فوضع المسلمون خطة محكمة لمهاجمة هذه السفن وتحطيمها تباعا حتى اشتد الضيق بالفرنج وساءت حالهم ودب اليهم الجوع والوهن . وكانت النيران التى

تطلقها عليهم الخراقات المصرية من النيل تفتك بمحلاتهم وخيامهم وتزيد كربهم وبؤسهم . واخيرا اضطر لويس التاسع ، نزولا على نصح قادته ان يطلب الصلح من المسلمين ، على اساس ان يجلو الفرنج عن دمياط ، وان يستردوا بيت المقدس ، فرفض المسلمون المفاوضة على هذا الاساس لما يعلمونه من تفاقم حالة الفرنج . وعندئذ عول الفرنج على الانسحاب . وفى مساء ١٥ ابريل اخذوا ينسحبون بالفعل الى الشمال تحت جنح الظلام . ولكن المسلمين كانوا يقظين ساهرين ، فعبروا بحر اشموم بسرعة ، وطاردوا الفرنج بشدة ، فما اسفر الصبح حتى احاطوا بهم من كل صوب ، وكانت الموقعة الشهيرة التى مزق فيها الفرنج شر ممزق ، وقتل واسر منهم الوف ، وغنم المسلمون معظم خيولهم وعتادهم ومؤنهم .

وكان لويس التاسع او « ري فرانس » كما تسميه الرواية المصرية ، قد لجأ فى نفر من خاصته وفرسانه الى قرية منية ابى عبد الله الواقعة على النيل . وطلب الامان من المسلمين ، فمنح الأمان ، واقتيد اسيرا مع صحبه الى المنصورة ، وهنالك اعتقل فى دار القاضى فخر الدين بن لقمان . فكان اسره خاتمة لنصر باهر لم يسمع به منذ ايام السلطان الناصر صلاح الدين وعقب ذلك اضطراب الخلاف بين الملك المعظم ، وبين الزعماء المماليك واسفر هذا الخلاف عن اغتيال الملك المعظم ، واتفاق الزعماء المماليك على تولية شجرة الدر عرش مصر ، فكانت توليتها حادثا فريدا فى تاريخ مصر الاسلامية

وعنيت الملكة شجرة الدر بتصفية الموقف مع الفرنج ، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على الافراج عن ملك فرنسا الأسير لقاء فدية عظيمة ، قدرها اربعمائة الف دينار وان يسلم الفرنج دمياط فورا للمسلمين وان يطلقوا الأسرى المسلمين . ونفذ هذا الاتفاق على الأثر ، وغادر الفرنج المعتدون الأراضى المصرية مدحورين ، بعد ان تلقوا من جند مصر درسا بعيد الأثر

على ان شجرة الدر ما لبثت ان شعرت بحرج مركزها كملكة ، وكانت تولية امراة على العرش قد اثارت كثيرا من التعليق والخلاف فى مصر والشام ، ورات شجرة الدر ان تحاول اصلاح الموقف بالزواج من الأمير عز الدين ايبك مقدم الجند ، ولكن هذا الزواج لم يحدث اثره المطلوب فى تهدئة الخلاف . فعندئذ رات شجرة الدر ان تفتدى سلام المملكة بالتنازل عن العرش لزوجها عز الدين ايبك ، وجلس هذا الأمير بالفعل على عرش مصر باسم الملك المعز ، وانتهت بذلك سلطة شجرة الدر بعد ان استطالت ثمانين يوما

ومع ذلك فقد استمرت عناصر الخلاف تعمل عملها . وكان الملك

المعز من جهة أخرى يعانى من سلطان زوجه الأدبى المرهق ، اذ كانت شجرة الدر ما تزال صاحبة الأمر والنهى ، ولم تلبث الوحشة ان سادت بين الزوجين ، واخذ كل منهما يتربص بصاحبه ويخشاه . وانتهى الفصل الأول من هذه المأساة باغتيال شجرة الدر لزوجها الملك المعز وتدبير قتله فقتله الغلمان فى الحمام ضربا بالقباقيب ، وذلك بعد ان جلس على عرش مصر سبع سنين (١٢٥٧ م)

وكان لهذه الجريمة وقع عميق ، فبادر الامراء المعزية بتولية الملك المنصور ولد القتيل ، ووافق الامراء الصالحية انصار شجرة الدر على توليته اتقاء للفتنة . واقسم الامراء المعزية فى نفس الوقت بالانتقام مليكهم ، ولبثوا يترقبون الفرص . واخيرا عرضت الفرصة، واستطاعوا القبض على شجرة الدر بالرغم من معارضةالامراء الصالحية، واعتقلوها مع بعض جواريها فى البرج الاحمر امنع ابراج القلعة ، ولم تمض أيام قلائل حتى تنحى الامراء الصالحية واذعنوا للأمر الواقع . ونقلت شجرة الدر من البرج الاحمر ، وحملت الى ام الملك المنصور لكى تتولى عقابها بنفسها ، وأمرت هذه جواريها بازهاق شجرة الدر، فضربها الجوارى بالقباقيب حتى أسلمت نفسها الاخير، ثم القيت من سور القلعة الى الخندق

وهكذا زهقت شجرة الدر أول وآخر ملكة لمصر الاسلامية ، تلك التى سطعت فى البلاط المصرى اعواما طويلة ، وكان لها أكبر الفضل فى تدبير هزيمة الفرنج وحماية مصر من عدوانهم

********** ☼ **********

هدية

اقترب عيد ميلاد الزوجة فجاء زوجها اليها وقال لها وهو مشرق الوجه :

ـ اني أريد أن أقدم اليك هدية في عيد ميلادك ، ولكني اود أن أعرف ماذا تفضلين حتى لا أختار شيئا لاينال رضاءك واعجابك

فقالت الزوجة في بساطة:

ـ لاضرورة لذلك ياعزيزى. ان كل ما أطلبه منك هو شيء من صنع يديك

فبدا الارتياح على وجه الزوج وقال بسرعة :

ـ بكل سرور . وما هو يا عزيزتي ؟

ـ أريد ... نقودا !!

دماء الحرية

مأساة الاستعمار فى الجزائر

للدكتورة بنت الشاطىء
أستاذة الأدب المساعدة بجامعة عين شمس

« فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » « حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا .. »

قرآن كريم

كنت اتهيأ لكى اكتب لهذا العدد من « الهلال » الاغر ، « صورة من حياتهن » تروى قصة عشت فيها شهرا كاملا ، واتحدث عن مأساة واحدة من جيل الضحايا ، وقد بدات بالفعل فى رسم الخطوط الاولى للصورة التى حركت فى قلبى اعمق مشاعر الشجن والرثاء ، ثم ما لبث القلمان توقف فى يدى فجاة ، ورحت اصغى الى صوت بعيد ، ينبثق من اعماق المغرب الاقصى ، ويختلط فيه هتاف الشهداء وانين الضحايا ، بزئير الوحوش التى اتخذت من ارض الجزائر مسرحا لافاعيلها النكراء ..

وكانت آفاق وادى النيل تتجاوب فى هذه الآونة ، بدعاء الداعين الى نصرة الجزائر فى معركتها النبيلة ضد وحوش الغرب « المتحضر » ، وابناء وطنى يسرعون من حولى الى تلبية الدعاء ، وهم يقدرون ان المال هو ارخص ما يبذل لتأييد نضال المجاهدين الاحرار ..

والقيت قلمى جانبا ، ورحت اقلب بصرى فيما زودتنا به المطابع من كتب جديدة ، اريد ان التمس بينها كتابا اقرأ فيه ريثما يعاودنى النشاط للكتابة ، فتشبثت عيناى بكتاب من « الجزائر الثائرة » لم اكد اقرا فيه بضع فقرات حتى احسست بقلبى ينخلع رعبا ..

وبدت لى مأساة صاحبتى التى كنت بسبيل روايتها ، تافهة ضئيلة ، امام مأساة شعب عربى كريم ، امتحنته الاقدار مدى قرنين من الزمان ، بأبشع محنة عرفها الانسان ، وابتلته بعصابة من القراصنة اللئام ، اختارت ارضه لكى تلعب فوقها لعبة الموت ، وهى تزعم انها لعبة الحياة !

واقشعر بدنى وانا أتابع القراءة ، وجمد الدم فى عروقى الى حد خلت معه ان الحياة توشك ان تتسرب من كيانى ، لهول ما أقرأ ..

وعدت — المرة بعد المرة — الى غلاف الكتاب ، لكى اتأكد انه حقا مكتوب بقلم أثنين من ابناء فرنسا ! فرنسا التى ظلت زمانا تزعم انها المبشرة فى عصرنا بمبادىء الحرية والاخاء والمساواة ، وهذه شهادة شاهدين من اهلها ، تكفى وحدها لان تفضح دعواها الخائنة ، بل تكفى لان تقذف بها وراء وحشية الوحوش فى اعماق الغاب !

والفيتنى أتساءل بين صفحة واخرى ايمكن أن يحدث هذا فى القرن العشرين الذى يتشدق بحقوق الانسان ، ويلوك الفاظا ضخمة رنانة طنانة ، عن السلام والعدل والمساواة

او يمكن أن يحدث مثل هذا ، فيما قبل التاريخ ، حين كانت البشرية لا تزال تتخبط فى دياجير البدائية ، وتلوذ بالمغاور والكهوف ؟

او يمكن ان يحدث شبيه بهذا فى جوف الادغال ، حيث توجد بقايا متخلفة من البشرية الاولى ، فى قبائل يقال انها « آكلة لحوم البشر » ؟

بل ايمكن أن يحدث ما دون هذا فى متاهة الغاب بين الوحوش الضارية ؟ !

وكانت كل فقرة من فقرات الكتاب تصرخ ملء مسمعى : محال محال ! محال أن يحدث هذا ، او شبيه به ، أو ما دونه ، فى اى عصر من عصور البشرية ، او يجوز فى شريعة من شرائع الكهوف والمغاور والغابات ..

ان الذئب حين اراد أن يلتهم الحمل ، لم تسوغ له طبيعته الذئبية المتوحشة ان يفعل هذا دون ان يفتعل عذرا يقدمه الى الفريسة ليبرر أمامها عدوانه عليها ، وقد كان عذره ان الحمل ، او اباه ، أو جده ، قد اهان الذئب ، فماذا كان عذر فرنسا المتمدينة فى التهام فريستها ؟

١٠. « فى عام ١٧٩٤م » منحت ولاية الجزائر حكومة فرنسا ، كل التسهيلات ، لشراء ما يلزمها من القمح الجزائرى ، كما اقرضها « الداى » عام ١٧٩٦ مليونا من الفرنكات بدون فوائد ، لشراء المزيد من قمح البلاد .. وقد مضى العام بعد العام ولم تسدد فرنسا دينها ، حتى كان عام ١٨١٩ ، اذ ادعت فرنسا أن بعض القمح المورد لها كان تالفا ، وشكلت الحكومة الفرنسية لجنة لدراسة الامر بعد انقضاء ثلاثة وعشرين عاما عليه ، فخفضت اللجنة قيمة « الفواتير » من ١٨ مليونا الى سبعة ملايين فرنك ، ثم خصمت من هذه الملايين السبعة الباقية مبالغ اخرى ادعت انها تمثل ديونا لبعض الفرنسيين على بعض الجزائريين . وحتى القلة القليلة الباقية بعد هذه التخفيضات والخصومات ، لم تصرف « للداى » ولم يعط اية ضمانات بشأن صرفها له فى المستقبل . فلما حل يوم ٢٩ ابريل (من عام ١٨٢٧)

---

* ما بين الاقواس فى المقال كله منقول بنصه من الترجمة العربية لكتاب « الجزائر الثائرة » تأليف كوليت وفرانسيس جانسون .

كان « الداى » قد عيل صبره ، فاستدعى القنصل الفرنسي وساله : متى يحصل على حقه من فرنسا ، ولماذا تمتنع الحكومة الفرنسية من الرد عليه فيما يطالب به من دين مستحق له ؟ فكان رد القنصل : ان حكومتي لن تكتب لك ، ولا فائدة من ذلك ! فهب الداى من مقعده طالبا من القنصل ان يخرج من مجلسه ، فلما لم يمتثل القنصل ، هوى عليه « الداى » بمنشته ، وضربه الضربة التاريخية المعروفة »

ولو اخذت فرنسا بشريعة الذئاب ، لالتهمت « الداى » وحده ، لكن شريعة الفرنسيين فى العصر الحديث ، لم ترض بما دون التهام الجزائر كلها ، من اجل ضربة المنشة التى تلقاها السيد « دوفال » المحترم ، من دائن هاجته قحة المدين !

حتى اذا احست ان هذه الضربة لا تبرر استرقاق شعب واغتصاب بلد ، اسعفتها شريعة القرصنة بعذر خبيث ، هو انها انما تلتهم الجزائر ، قبل ان يلتهمها سواها !

وقال المتحدث بلسانها يومئذ : « لقد صار من العسير على فرنسا ان تتراجع بعد ان فتحت الجزائر فتحا باركته المسيحية جمعاء ! واننا بغزونا الجزائر انما نحرص على عدم وقوع تلك البلاد فى قبضة قوم آخرين (!!) واننا اذ نقدم كل هذه التضحيات انما نفعل ذلك فى سبيل المحافظة على هذه البلاد فقط (!!) اننا نخلق فى الجزائر امة لن تعرف المدنية بدوننا »

وذلك ما لم يقله الذئب للحمل .. لم يقل له اننى انما آكلك حرصا على الا ياكلك غيرى ، وقالتها فرنسا بعد ثورتها التى اتحفت العالم بالمبادىء الانسانية العليا !

كذلك لم ينكر الذئب على الحمل ان يغضب ويحزن ، اما حكومة باريس ، مدينة النور وعروس اوربا وغانية الغرب ، فقد انكرت ان تجحد الجزائر فضلها ، ونقمت عليها الا تخر ساجدة امام القراصنة الغزاة الذين جاءوا يلتهمونها على الطريقة الفرنسية ويهيئون لها بذلك «السعادة الروحية التى تتيحها هذه النعمة »

وكان ردهم على مقاومة الجزائر لنعمة الاسترقاق الجماعى ، وجحودها فضل الاستعباد الفرنسى ، ان « اشعلوا الحرب فى كل مكان ، حتى صار القتال شريعة السياسة ، واصبحت المذابح الانتقامية مفخرة القواد ، وصارت ابادة الجزائريين شيئا يستحق الفخر والتهنئة ، فتكتب احدى الجرائد الفرنسية ذات يوم من اكتوبر عام ١٨٣٦ : « .. بلغ عدد الرءوس الآن ثمانية وستين راسا ، وصلت كلها الى المعسكر وهى معلقة على سناكى البنادق . انها لصفقة عظيمة وبداية طيبة تفتح لنا الطريق» ويقول الجنرال شانجارنييه : « ان رجالى قد وجدوا التسلية فى قطع رقاب الوطنيين من رجال القبائل الثائرة .. » ويجىء فى تقرير رسمى « ان كل الماشية قد بيعت الى قنصل الدانمارك ، وعرض باقى الغنيمة فى

سوق باب عزون حيث كان المشاهد يرى اساور النساء ما زالت تحيط بمعاصم مقطوعة ، واقراطا تتدلى من قطع لحم آدمي ! وقد بيعت هذه المصوغات ووزع ثمنها على خانقي حامليها ، وفي الليل اصدر البوليس اوامره باضاءة الانوار علامة الابتهاج»!

« غير ان عمليات الارهاب والابادة لم تثن من عزم الجزائريين عن مواصلة الكفاح ضد مغتصبيهم وقاتليهم ، وسرعان ما احست فرنسا ان الاحتلال انما يحملها التكاليف الباهظة دون نتائج مرجوة ، فشكلت لجنة للتحقيق ، حددت لها مهمة معينة هي ايجاد نتائج مرضية بالنسبة لفرنسا ، فجاء تقريرها عن مدة ثلاثة اشهر - من سبتمبر الى نوفمبر عام ١٨٣٣ - مدعما بالمستندات ، لامكان للرحمة فيه . لقد جمعنا كل ماتملكه المؤسسات الدينية ، وفرضنا الحراسة على اموال طبقة من السكان كنا قد وعدناهم باحترامنا لهم ، وقد بدانا ممارسة سلطاتنا بابتزاز مئات الالوف من الفرنكات في صورة قرض حصلنا عليه من الاهلين بالقوة ، وقد استولينا على الاملاك الخاصة دون تعويض لاصحابها ، وقد ذهبنا في كثير من الاحوال الى اجبار الملاك الذين انتزعت منهم املاكهم على النحو المذكور ، على ان يدفعوا تكاليف هدم منازلهم بما فيها المساجد ، ودسنا - دون مراعاة للاصول - المعابد والمقابر وعقر الديار الذي يعتبر مقدسا لدى المسلمين . . ولقد ذبحنا اناسا كانوا يحملون تراخيص بالتنقل ، كما قضينا على مناطق باكملها ، وحاكمنا رجالا للويهم ، وقد وجدنا قضاة ليحكموا عليهم ، ورجالا متمدينين ليشنقوهم . . لقد فقنا في اعمال البربرية هؤلاء البرابرة الذين جئنا لنهذبهم . . » وختمت اللجنة تقريرها وهي تبارك الاعمال التي اقترفت في الجزائر »

واذ ذاك ظهر « عبد القادر الجزائري » ليقود حركة المقاومة الباسلة ، و « يدوخ اكبر جيش اوربي مدة خمسة عشر عاما توالى خلالها على حكم الجزائر قائد لاحق بعد قائد سالف ، وتغيرت الاحوال وتبدلت ، الا عبد القادر فقد ظل هو الشوكة الشائكة في قلب الاستعمار ، حتى لم يعد لفرنسا حول ولا طول فاعلنت على الشعب المطالب بحقه ، حربا بربرية ، تسابق فيها القواد الفرنسيون في التدمير والابادة ، وكل واحد منهم يابى ان يتفوق عليه سواه في سباق التمدن الفرنسي « فيقول الكونت دي هيريسون في كتابه « اقتناص الرجال » : في عام ١٨٥٧ اخذت الغيرة تأكل قلب الماريشال راندون مما كان زميله الماريشال سانت ارنو يقوم به من اعمال التنكيل ، فاغار على قبيلة بتجريدة قوامها خمسة وعشرون الف جندي لتدريبهم على اعمال القتل ونشر الحرائق كما كان يفعل اسلافه» . . وجاء في كتاب «رسائل جندي» : «لقد كانت مذبحة شنيعة حقا ، وقد قمنا بعمل احصائية في جو هادىء بعد الاستيلاء على المدينة ، فبلغ عدد القتلى من النساء والاطفال ٢٣٠٠ ،

اما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر ، لسبب يسير وهو اننا لم تكن نترك جرحاهم على قيد الحياة »

« وتظل الحال على هذا المنوال حتى عام ١٨٤٥ ، اذ تبلغ الهمجية شأوها ، وتندثر المثل الانسانية وتتلاشى ، ويجتاح الجزائر لون جديد من الوان البربرية يزرى بما سبقه من اعمال الخسة والاجرام والوحشية ، ففى ذلك العام المشئوم ادخلت على نظام الابادة المتبع للقضاء على الشعب الجزائري ، طريقة « جهنم » وهى طريقة نشأت أول ما نشأت عن محض المصادفة ، ولكن سرعان ما اصبحت نظاما من انظمة الجيش الفرنسى ضد العرب : ففى يونية عام ١٨٤٥ كانت قبيلة اولاد الرياح قد تلقت من القائد الفرنسى امرا بالتسليم ولكنها بدل أن تسلم ، لاذت بالفرار الى المغاور والكهوف لتستأنف منها الجهاد وتواصل المقاومة ، فلما ضيق القائد عليها الخناق ، اشترطت عليه سحب القوات الفرنسية لتخرج اليه ولكنه رفض هذا الشرط ، وقرر أن يصب عليهم نار جهنم ليصلوا سعيرا

« وانى للقلم ان يصف هذا المشهد الجبار العاتى ! هـذه هى القوات الفرنسية تتقدم تحت جنح من الليل البهيم ، تتخلله اضواء القمر الباهتة من خلف سحب متكاثفة مدلهمة ، ويتجه الجنود الفرنسيون صوب فجوة الكهف يسدونها بالمتاريس ويشعلون بداخلها ومن حولها النيران وهؤلاء هم العرب المعتصمون فى جوف الكهف ، تنطلق منهم الانات فتصم الآذان ، وتولول النساء ، ويصرخ الاطفال ، وينعق الحيوان ، وهذه هى الصخور تحترق وتنهار فتنتشر منها الاتربة فتخنق الجموع ، وتتناثر منها الجنادل فتصيب الرءوس ، وهذه هى الذخائر تنفجر فتعم الدمار وتنشر الموت ، ويجاهد الرجال والحيوان للخلاص من بطن الارض فتنطبق عليهم الارض ويقبرهم الجماد !

« ويقبل الصباح ، وتتولى فرقة من الجنود الفرنسيين معاينة الاتون الذى صبوا فيه النيران اثناء الليل ، فيرتد منهم البصر من هول مايرون : ففى مدخل الغور انتثرت هياكل ثيران وحمير وخراف حدت بها الغريزة صوب مخرج الكهف لاستنشاق الهواء الذى عدم بالداخل ، وتكدست بين هذه الحيوانات ومن تحتها جثث رجال ونساء واطفال ، وشوهد رجل ميت وهو جاث على ركبتيه ، وقد امسكت يداه فوق ثور نافق ، وبجواره امرأة ميتة تحتضن بين ذراعيها طفلها الميت ، مما يدل على ان الرجل قد اختنق وهو يدافع عن امراته وطفله من هجوم الثور عليهما اثناء الحريق . .

« وفى سراديب هـذه المغاور الفسيحة ، وجد الجنود الفرنسيون سبعمائة وستين جثة ، اخرجوا منها ستين اعرابيا يعانون سكرة الموت ، ما لبث اربعون منهم حتى قضوا نحبهم ، وعشرة منهم اطلق سراحهم ليعودوا الى مساكنهم عبرة لمن لا يعتبر »

وقد استراحت فرنسا من عبد القادر ، لكن ذلك لم يشف حقدها



على الشعب الابى « فقد شوهد القائد بليسييه عام ١٨٤٩ يهدم قريتين جنوبى وهران باسم التهدئة ، على مرأى من الجموع التى انتابها الفزع .. كما شوهد القائد لامو بعد عامين ، يهدم تسعا وعشرين بلدة فى يوم واحد ، ويساهم فى حملة عسكرية اخرى ابيدت خلالها ثلاثمائة قرية »

واعماها الحقد المجنون فلم تدرك ان هذه الوحشية تزيد مقاومة الجزائر حدة وضراما

وامسك قلمى عند هذا اشفاقا على القارىء ، ولما اجاوز الفصل الاول من الفصول التسعة للكتاب ، ولاسال مع السائلين : ماذا صنعت فرنسا لتمدين الشمال الافريقى ؟ والجواب عند الكاتبين الفرنسيين

« يعلم التاريخ والمؤرخون ان فتح الجزائر كان من قبيل الطمع والنهم ، ولم يكن له هدف واضح ولا برنامج محدود او مدروس ... وانما جاء وراء الجيش الفرنسى شرذمة من التجار المرابين ، وقد

قامت هذه الطغمة من الصعاليك النصابين بمضاربات تعسة باءت جميعا بالفشل ، فما اكثر ما قاموا به من بيوع وهمية لاوجود للمبيعات فيها ! وما اكثر ما باعوا قطعة الارض الواحدة لاكثر من مشتر واحد! كانت اعمالهم يغمرها ظلام الشك ، يستوى فيها الموظفون الرسميون وضباط الجيش ... وهذا خطاب من زوجة « الجنرال برو » عام ١٨٣٤ الى احد اصدقائها بباريس تقول فيه : تسالنى يا صديقى عما وصلت اليه اعمال الاستعمار هنا . والحق انها اقتصرت حتى الآن على الاستيلاء والمضاربة بالممتلكات .. وقد تدهش اذا قلت لك ان ارضى « بليدة » قد بيعت الى آلاف من الافراد قبل استيلاء جيشنا عليها ، ويجد المشترون مسرة فى تركيب نظاراتهم المكبرة فى اعلى الهضاب على بعد ثلاثة فراسخ من « بليدة » لتنعم اعينهم بمشاهدة الاراضى التى دفعوا ثمنها ، ولم يبق المشترين الا ان يدفعونا للتقدم نحوها ، فنقتل او نقتل فى سبيل الحصول عليها .. ثم ان هؤلاء «المستعمرين المحترمين» واغلبهم من الهاربين من السجن او من الموشكين على الدخول فيه ، يحارون فى الانتفاع باراضيهم ، ولا دراية لهم بزراعتها »

« وقد استجاب لنداء الهجرة الى المستعمرة الجديدة ، كل من تحدثه نفسه بانه اهل له ، من غير المرغوب فيهم فى فرنسا ، ومن نزلاء الليمان ، ومن الشحاذين ، وتسعمائة الف رجل اصلهم من اليتامى ومن اللقطاء الضالين »

وبمثل هؤلاء ، ارادت فرنسا ان تعلم عرب الجزائر مدنيتها

« وقد تساووا جميعا فى الجهل واعمال التخريب وخدش الفضيلة ، كما تساوى قادتهم فى نقض العهود وخرق المواثيق والتمادى فى الضلال والعبث بحرية الاهلين وبديانتهم واملاكهم وتجارتهم وصناعتهم ، ولعل العبث بالدين الاسلامى كان هو المجال المفضل لدى القائد ليعيث فيه فسادا واستهتارا .. وعلى منبر الرسول محمد ، وقف سكرتير الحاكم بوجو ليقول : «ان آخر ايام الاسلام قد دنت ، وفى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح . ونحن اذا امكننا ان نشك فى ان هذه الاراضى تملكها فرنسا ، فلا يمكننا ان نشك على اى حال انها قد ضاعت من الاسلام الى الابد ! »

وهكذا كانت المرحلة الثانية من مراحل الاستعمار ، هى هضم الجزائر ، وقد مضى اكثر من قرن ، وما تزال الجزائر عربية مسلمة ، وما زال امل الاباة فى رد الطغاة ، يكسر الحواجز وينطلق كالسيل الهادر

ولو كان لوحوش غابة بولونيا عقل يفكرون به ، لافادتهم هذه التجربة الطويلة عبرة ، وعلمتهم ان شعبا مؤمنا بحقه لا يمكن ان يقهر او يموت !

فلتكن العبرة لنا نحن العرب ، فى جهادنا الموحد ، ومعركتنا المشتركة وتحية للاخوة الاباة الاحرار !



ان صيد الوحوش فى القارة الافريقية يبدو لكثير منا لعبة سينمائية طريفة ، أما لاولئك الافراد القلائل الذين يمارسون هذه المهنة ، فهى حياة حافلة بالسحر والاهوال . بيد أن من تكتب لهم السلامة من اخطارها لا يستطيعون التخلى منها ، لانها من الذ المهن واكثرها اثراء

ومن هؤلاء القلائل الصياد العالمى مؤلف هذا الكتاب ، الذى جمع فيه خلاصة مخاطراته وتجاربه منذ اجتذبته القارة الافريقية بسحرها

كان الجو باردا فوق سطح الباخرة . ولما تغيرت الريح هبط الناس الى قمراتهم . أما أنا فوقفت ألقى النظرة الاخيرة على تلك الارض الافريقية التى عشت فيها زهرة أيام حياتى . وبدأت أندم لانى فارقتها . فمن عاش فى افريقا لايسلوها ، وانما ينتزع نفسه منها انتزاعا !

وشردت بى خواطرى الى مواقفى مع ملوك افريقية الحقيقيين : مع الفيلة . . وتذكرت على الخصوص آخر رحلة صيد للفيلة مع صديقين فى شهر فبراير . .

وشهر فبراير فى بريتوريا شهر شديد الحرارة معكر الانفاس بالتراب يلوذ فيه الناس بالاشربة المثلجة ، ولا يتركون من أيديهم المراوح ، فهو اشد حرارة من احتمال السائحين الذين يفدون على ذلك الاقليم للصيد عادة . فأقضى هذا الشهر جالسا الى أوراقى أرتبها فى ملل وضيق

وحمل الى البريد رسالة من صديق قديم هو وليم باجل ، وباجل هو

صاحب اكبر سيرك فى جنوب افريقا ، ففضضت الخطاب على اشتياق لما يحمله ، واذا به :

«ان الزعيم تشيكيدي خاما يريد شخصا ماهرا فى الصيد ليقتل له قطيعا من الفيلة يعيث فى منطقته فسادا ، ففكرت فيك . وبهذه المناسبة اتمنى ان تعثر على فيلين رضيعين للسيرك . وانى مستعد ان ادفع فيهما خمسمائة جنيه» . .

ونشطت لاجابة الطلب ، وسرعان ما اعددت كل شيء ،واخذت معي صديقا انجليزيا اسمه بريان ، وصديقا هولنديا اسمه لويس ، سرهما كثيرا أن يستمتعا برحلة صيد مجانية ، مع ان السائحين يدفعون مائة جنيه فى الاسبوع اجرا لمصاحبتى اياهم . وركبنا عربة الجيب ، وانطلقنا فى رحلة لاتقل عن خمسمائة ميل ، لكى نصل الى ارض بتشوانا لاند .

استغرقت رحلتنا يومين الى ان وصلنا قرية الزعيم الوطنى فأنزلنا فى دار ضيافته ، وهى دار مشيدة تختلف اختلافا واضحا عن الاكواخ الهرمية الشكل التى يعيش فيها الاهلون . وادهشنا منظرها الذى يذكر بالطراز الفيكتورى فى فن العمارة . ثم علمنا انها بنيت خصيصا سنة ١٩٢٠ كي ينزل بها دوق وندسور عندما حضر وهو أمير ويلز . ونمت تلك الليلة فى الفراش النحاسى الضخم الذى جلب خصيصا للأمير من لندن . .

والزعيم خاما فى نحو الخامسة والاربعين ، وقور هادىء الصوت يرتدى الثياب الأوربية ويعيش على الطريقة الانجليزية .

وفى اليوم التالى انطلقنا مبكرين ومعنا دليل من الاهالى وقبلتنا قرية مادينار . على مسافة مائة وخمسين ميلا ، ولهذه القرية شيخ اعمى مسن اسمه بيتو ، ذو شخصية قوية جدا ، فهو انيق الملبس ، يتحدث الانجليزية بطلاقة ، وله ابن اخ شاب مرح يدخن باستمرار . وهذا الشاب من أمهر من التقيت بهم فى حياتى فى تقصى آثار الفيلة ، وهى شهادة لها قيمتها اذا علمنا اننى شخصيا أعتبر من امهر متعقبى آثار الفيلة . .

وجلسنا نتداول فى الخطة . ثم قررنا أن نأخذ معنا الشاب سيلتزو وصديقا له اسمه كوبانو . له خبرة أيضا بهذا الفن . ثم شددنا الرحال قبل الفجر الى قرية بوتولى حيث توقعنا ان نعرف شيئا عن تحركات قطيع الفيلة . .

ووصلنا بوتولى فى التاسعة صباحا ، فاستقبلنا عدد من الاطفال المراة بالصراخ والبكاء لان سيارة الجيب أفزعتهم وظنوها وحشا من نوع جديد . وتبين أنهم لم يروا من قبل عربة لها عقل خاص بها ، على حد تعبير شيوخ القرية . .

وفحصنا الخسائر التى احدثها الفيلة . وسرنى كثيرا أن اكتشف بين آثار الفيلة الكبار ، آثارا لفيلة فى دور الطفولة . وقررت ان نقتفى الاثر فورا قبل

ان يبتعد القطيع ، واخترت عشرة من الغلمان المتجمعين حولنا ، وأخذتهم معنا ، كي يقوموا باحضار الفيلين الرضيعين بعد أن نمسكهما حيين ..

واستطعنا أن نقود السيارة نحو عشرة أميال قبل ان تتشابك أشجار الغابة ، ويمتنع على السيارة التقدم . فنزلنا وأقمنا معسكرنا . وعلقنا فى الاشجار القريبة امتارا وامتارا من السجق الذى يعتبر الطعام الاساسى للصياد الافريقى حين يشق الغابة على قدميه ، كي يقتطع منها فى اى وقت يشاء ويأكل . ولشدة الحرارة لايحتاج ذلك السجق الى انضاجه بالنار بعد أن يعلق فى الهواء بضعة ايام !

وكنا لاندرى ماذا سيصادفنا فى الغابة ، فأخذت معنا جميع الغلمـــان ما عدا طباخى الذى تركته لحراسة السيارة ..

ومشينا بضعة أميال فلم نعثر على أثر للقطيع حتى وصلنا الى قرية صغيرة فسألنا عن الاخبـار . وقال لنا الشيخ ان أصوات الفيلة ترامت الى سمعهم ذلك الصباح . فمضينا فى طريقنا ميلا آخر ، وهناك وجدنا آثارا جديدة ، واقدام الفيلة لها طابع مميز كبصمات أصابعنا ، وقصاص الاثر الماهر يستطيع من تلك الآثار أن يعرف عمر الفيل . ومنذ متى مر من هذا المكان . وقدرت أننا على مسافة بضعة أميال من القطيع ..

ومشينا صفا واحدا ، ثم طلبت من بريان ولويس الا يطلقا النار الا بعد أن أطلق أنا . فالصيد مثل قيادة السفينة لابد ان يوكل الامر فيه الى شخص واحد ، ويجب أن يكون هذا الشخص حازما قاطعا فى تعليماته ..

قطيع الفيلة

ومشينا ثلاثة أميال تقريبا ، وفى مقدمتنا سليتزو وفى اعقابنا الصديقان بريان ولويس ، والمفهوم أن الفيلة تمشى بين الاشجار صامتة ، فلا تشعر بوجودها الا حين تهب الريح من قبلها فتحمل رائحتها النفاذة ، أو عندما تقرقر فى بطون الواحد منها كمية المياه الهائلة التى تصل الى ستين جالونا ..

وأمرت الغلمان أن يبقوا حيث هم وتقدمنا نحن فاطاعوا مسرورين . لان الاهالى يخافون الفيلة جدا ، الى درجة الفزع . ومشينا فى صف طويل صامتين الى أن شعرنا أننا أمسينا بالقرب من هدفنا ، وذلك عندما شاهدنا على مسافة مائة خطوة تقريبا فروع الشجر تهتز من أثر حركة الفيلة بين الاشجار . فقلت :

ـ أحذركما من اطلاق النار مهما كانت الظروف . لانى اريد أن أتبين أولا مكان الصغار ..

ووافق الصديقان ، بحركتين من راسيهما ، ولم أكن أتوقع منهما أكثر من ذلك لان خلق الانسان فى مثل هذا الموقف يكون جافا . ولا يمكن أن تختفى هذه الظاهرة مهما تعودت الموقف

وبرزت لنا الفيلة فجأة فوقفنا فى مكاننا جامدين ، فى انتظار تحرك الفيلة

آذانها الضخمة التى تستعملها كأجهزة الردار لالتقاط ادق الاصوات ، ولكن آذانها لم تتحرك ، فهمست :

ـ تخيروا لانفسكم اشجارا ضخمة لوقايتكم ، فعند الهجوم يجب الا تكونوا فى العراء . .

وفى هذه اللحظة رفعت فيلة راسها فجاة وظننتها كشفت مكاننا ، وكانت هدفا واضحا جدا وصالحا للرماية ، فرفعت بندقيتى الماوزر القوية،واطلقت الرصاص فيما بين اذنها وعينها ، فظلت ثابتة فى مكانها برهة ثم وقعت على الارض مرة واحدة كأنها خيمة اقتلع الهواء أوتادها وارتجت الارض لسقوطها وتحطمت الاشجار . .

وبعد الطلقة الاولى اضطرب القطيع وقد احس بالخطر ، وان كان غير واثق اين ينبغى أن يهرب . وفى هذه الفرصة من الدهشة والاضطراب اسقطت الفيلة الثانية ، وفى هذه المرة رفع افراد القطيع جميعا خراطيمهم فى الهواء ، واطلقوا زمجرة تدل على الخوف والغضب والكراهية ثم هجموا علينا . فاطلقت الرصاصات الاربع الباقية فى خزان البندقية على التوالى ، ومع كل طلقة كان يسقط فيل ، فتهوى معه جذوع الاشجار محطمة .

والتفت وانا اخرج مزيدا من الرصاص من حزامى لارى ماذا يصنع بريان ولويس فرايت بريان يتصبب عرقا ، وبندقيته ترتجف فى يده ، يحاول ان يدس فيها رصاصة اخرى . اما لويس فلم اره لاول وهلة وظننته هرب . ولكنى كنت مخطئا ، لانه فى الواقع جرى وراء القطيع حتى لايفوته الهدف، وكان يطلق الرصاص وهو يجرى ، فناديته وحشونا بنادقنا وتربصنا وراء الاشجار كما كنا لان الفيلة ربما عادت ادراجها. بيد ان الوقت مر ولم يعودوا فخرجنا من مواضعنا ورحنا نحصى الغنائم فوجدنا اننا اسقطنا تسعة فيلة. اما الفيلة الصغيرة فلم نظفر منها بشىء . وفجاة صاح بريان

ـ انظر بحق السماء !

فنظرنا حيث اشار واذا فيلان صغيران فى الرحبة الصغيرة بين الاشجار يتراقصان فى مرح كأنهما ممثلان على خشبة مسرح ، فصحت بصاحبى أن يتبعانى لنمسك بهما

وتركت كل حذر . فالقيت بندقيتى وطاردتهما . فهربا فى اتجاه الاشجار ، فقفزت فوق أحدهما ، وراغ منى فتعلقت بذيله الصغير واذنه وحاولت ان ارغمه على الوقوف ، ولكن هذا الفيل الرضيع كان أقوى منى مع انه كان فى ارتفاع خاصرتى فحسب الا انه كان لايزن أقل من خمسمائة رطل . وراح يجرنى كما لو كنت حشرة على ظهره

اما بريان ولويس فاقتفيا اثرى وهجما على الفيل الآخر ، وحملنا الفيلان الرضيعان الى الغابة . ولولا تنبه الغلمان السود للموقف واسراعهم لنجدتنا بجذب ذيل الفيلين واذنيهما لقضى علينا الفيلان . ولست أدرى ماذا كان يحدث لنا لو رجع القطيع فى تلك اللحظة مدفوعا بأصوات الفيلين وصراخهما

وربطنا الفيلين الى شجرة كبيرة وجلسنا نفكر فى وسيلة نرسلهما بها الى معسكرنا . وفككنا وثاقهما وحاولنا أن نجرهما جرا فتشبثا بالارض فى عناد يشبه عناد البغال . وعندئذ تذكرت الفيلتين القتيلتين وقدرت أن ضرعيهما لابد حافلان باللبن . .

وأسرع غلام أسود فحلب شيئا من ذلك اللبن فى وعاء كان يحمل فيه طعامه ، وسكبنا اللبن فى فم الفيلين فشرباه بتلذذ ، وهدأ اللبن من ثورتهما ، ومع هذا أصرا على عدم التحرك من مكانهما كأنهما شجرتان نابتتان من الارض ، وعاد الغلام الى الفيلة المقتولة فوجد ضرعها جف وقد حط الذباب عليه ، فأخرج سكينا وقطع ثديا من الضرع وجاء به فالقمه الفيل . وفطن الفيلان الى الرائحة . . وهكذا استخدمنا الضرع لدفع الفيلين الى التقدم خطوة خطوة حتى معسكرنا المؤقت

وكنا قد تركنا أنياب الفيلة المقتولة فى جثتها حيث هى ، ذلك أن انتزاع ناب الفيل الحديث الوفاة عمل شاق يستغرق ساعات طويلة ، ويحتاج الى قطع تلك الانياب بالفئوس ، وهى عملية يقوم بها الاهالى وينتج عنها فى الغالب تشويه الانياب أو عطبها ، وهى على الجملة مسألة مزعجة ومحيرة ، أما اذا ترك الناب فى الجثة بضعة أيام الى أن تبدأ الجثة فى التعفن ، فمن المستطاع انتزاع الناب بسهولة

وكان وصولنا بالفيلين الرضيعين قبيل الغسق ، فقام طباخنا باعداد كمية من اللبن المحفوظ تجرعها الفيلان الصغيران بهدوء تام ، وصنعنا بعد ذلك سقالة من الخشب ثم دفعنا الفيلين الصغيرين الى السيارة . ولولا كثرة عددنا لعجزنا عن ذلك ، اذ كان كل ثلاثة رجال يحملون ساقا من أربعة سيقان الفيل ثم نرفع الحمولة رفعا ، الى أن دخل الفيلان فى القفص الذى أعددناه من قبل . وأخذنا طريقنا بعد ذلك الى قرية ملادينار

وقلت لشيخ القرية الاعمى انى تركت ورائى تسعة فيلة صريعة فى الغابة ، وانى أنوى العودة بعد أيام قليلة لأخذ الانياب فوعدنى أن يقوم رجاله بتجهيز كل شىء ريثما أحضر

وفى الرابعة صباحا استأنفنا طريقنا مرة أخرى الى بريتوريا ووجهتنا مزرعة باجل لتسلمه الفيلين الصغيرين

وبعد أسابيع مررت بمزرعة باجل لأزور الفيلين اللذين كنت أشعر نحوهما بمودة وحنين . فلما عرفت أنهما ماتا شعرت كأننى فقدت شخصا قريبا الى قلبى . وهو ولا شك من أعاجيب حياة الصيادين . اذ يبدو متناقضا أن نشعر بالاعزاز لاطفال قتلنا ذويهم بكل سرور وحماسة ، ولكن العواطف لا تعترف بالمنطق

صيد الاسود

وليس صيد الاسود أقل فتنة للصياد الافريقى من صيد الفيلة ، وسأكتفى

هنا بمغامرة واحدة على سبيل المثال . وقد ذهبت الى بقعة سمعت من الاهالي ان الاسد يرتادها ، وكان معي أيضا أصدقائي وفيهم بريان . فكمنت في موضع ظليل وقاد بريان السيارة غير بعيد والقينا التعليمات الى مرافقينا من السود كي يحملوا لنا الطعام والماء وآلة التصوير ونحن نتعقب آثار الاسد، وبعد قليل وجدنا آثارا طازجة ولمسنا في الكلاب المدربة التى معنا توترا عصبيا دلنا على اقتراب الفريسة . واحجم بعضها عن استئناف السير . وأخذ السود يتوجسون من كل حفنة من العشب يمكن أن تخفي حيوانا أكبر من الارنب حجما ، الى ان لمحتنا لبؤة تبتعد على مضض تحت تأثير نباح الكلاب الجنوني ، ولاحظت انها تقوس ظهرها كأنما تريد أن تبدو اكبر من حقيقتها . .

وكنت قد وعدت بريان وصديقا آخر اسمه اليك ان اتركهما يتمتعان بالصيد . فاشرت اليهما ان يطلقا النار ، ولكني لم اسمع شيئا ، وأوشكت اللبؤة أن تختفي ، فلم ارد أن افلتها فجريت نحوها ، ولكنها راغت مني ، وان كان عواء الكلاب في اثرها دلني على مكانها

واذا بي افاجأ باللبؤة قادمة نحوى من اجمة عن يميني على مسافة خمسين خطوة . فأطلقت عليها النار وسقطت في الحال ، فهجم عليها الكلاب يهمون بنهشها ، واسرعت أطردهم عنها ، ووجدت الرصاصة نفذت من عينها اليمنى . .

ولحق بي صاحباي، فاعتذرت لهما لاني أطلقت الطلقة الاولى لما استبطأتهما وقمنا بسلخ اللبؤة فورا ثم انطلقنا في آثار بقية الاسرة ، واصررت أن أمشي في الخلف حتى اترك لصاحبي فرصة الصيد أولا

واستمر مسيرنا هذه المرة نحو ساعتين الى ان بدأت الكلاب نباحها الجنوني من جديد . وأسرع السود يجرون للاحتماء بالاشجار . ثم سمعت طلقة نارية ثم أخرى ، وارتفع زئير الاسود أكثر من ذي قبل . فأدركت ان الامور لاتسير على مايرام وجريت لارى طلقة بريان الثالثة تخطىء لبؤة شابة كانت متجهة لتنقض عليه . اما اليك فرايته يرفع بندقيته بين ذراعيه كأنها نبوت كي يضرب بها اللبؤة المهاجمة على أم راسها !

ورفعت بندقيتي وأصبت اللبؤة في عنقها فوقعت ، واوشكت أن اذهب اليها لولا زئير من يساري ، فنظرت لارى لبؤة ضخمة جالسة على قائمتيها الخلفيتين وقد كشرت عن انيابها والكلاب تتعاوى من حولها ، ورايتها تصيب بمخلبها الايسر كلبا ضخما فتهشم جمجمته كأنها من قشر البيض ، فأدركتها برصاصة في دماغها . .

وتم هذا كله في بضع ثوان ، وصمتت الكلاب وساد الصمت لحظة ، وفطنت أن رباط حذائي كان مفكوكا ، فوضعت قدمي فوق راس اللبؤة وربطته ، ريثما اقبل نحوى بريان واليك والاهالي السود خرجوا من مكامنهم متباطئين وهم يتبادلون الرطان بلغتهم فقلت لاليك :

ـ ماذا اصابك حتى تحسب البندقية نبوتا ؟
ـ سحقا لغبائي ! انها ليست هيبة الاسد ، بل أننى أحضرت رصاصا ليس من عيار البندقية فلم ينطلق . ولولا ان خففت انت لنجدتنا لكنا نحن الصيدين الآن لا هاتان اللبؤتان

▭

وفى ذات يوم شكا الينا الاهالى فى منطقة سوكوما بالقرب من صحراء كلاهارى ، أن الاسود فى هذه المنطقة كانت تغير على حميرهم فتفترسها تباعا مع اننا كنا واثقين من وجود الاسود بكثرة فى تلك المنطقة ، الا أن البحث عنها كان مضنيا حقا

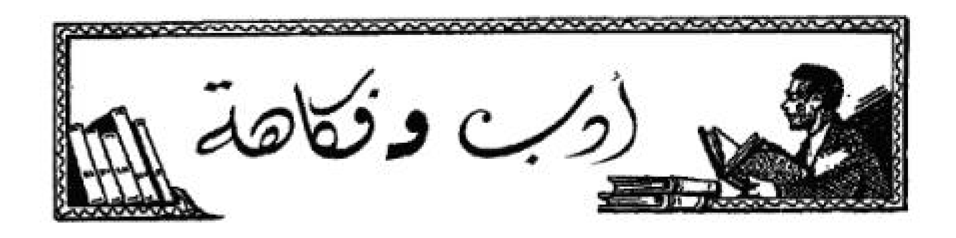
لقد ظللنا اربعة ايام طوالا نتلمس آثار تلك الاسود من فضلات امعائها . ولكنها كانت دائما تروغ منا . وتعود في آخر النهار ، بل فى ساعة متأخرة من الليل مرهقين فاشلين وأؤكد لكم أن السير عشرين ميلا فى اليوم الواحد فى رمال الصحراء الكثيفة وتحت شمس محرقة ليس متعة كبرى !

وفى رابع يوم من ايام البحث الشاق عدنا الى المعسكر فى نحو الرابعة بعد الظهر وقلت لزميلى بوب انى سأصطاد ثورا وحشيا ثم اربطه بالقرب من سيارة الجيب ، وأسهر عليه بالتناوب مع خادمى الزنجى الى أن يأتى الاسد ، فأتمكن من صيده

وكان صيد الثور الوحشى عملا شاقا فى حد ذاته وظللت اطارده بسيارة الجيب وكان يجب أن اطلق عليه النار وأنا أقود السيارة باقصى سرعتها ، والثور يعدو باقصى سرعته . وليس ذلك بالامر السهل

وقمت مع غلامى الزنجى بذبح الثور واخراج امعائه . واخفيت الجيب فى أجمة صغيرة من الاشجار وقررت المبيت هناك . وظللت ساهرا بعد ان نام الزنجى الى نصف الليل . وبعد ذلك ايقظته ونمت فى المقعد الخلفى الى أن صحوت عند الفجر فوجدت الزنجى يغط فى النوم . ونظرت الى موضع الثور الضخم فلم أجد له اثرا . فأيقظت الزنجى . وقررت على الفور تتبع آثار دم الثور . ومن العجيب أن الاسد لم يكن يجره على الارض ، فلا بد أنه حمله فوق كتفه حملا . وظللنا نتتبعه أربع ساعات ، ونسمع زئيره بين الحين والحين وهو يهرب بفريسته الثقيلة . ثم عثرنا بالفريسة وقد نهش فخذها فادركنا أن الاسد أدركه التعب فالقاها لينجو بنفسه

واستمرت المطاردة ساعتين بعد ذلك الى قرب هبوط الليل ، وفجأة وجدنا سيد الوحوش يستدير ليواجهنا ، فصاح الزنجى واغمى عليه . واوقفت السيارة فجأة ثم تفزت منها والبندقية الى كتفى . ويا له من تمثال رائع للقوة والجبروت وهو ينشر لبده ويشهر مخالبه ويقفز نحوى ، ولولا ان اخترقت رصاصتى ارنبة انفه وخرجت من اذنه لكنت عشاء ليلته



العالم الصغير

كان المفكرون يسمون الانسان « العالم الصغير » ، لان خصائص الآدمي تلتقي فيها عناصر العالم كله . وقد برع «الجاحظ» في تعليل هذه التسمية، اذ يقول :

« ان الانسان الذى خلقت السموات والارض وما بينهما من أجله ـ كما قال عز وجل : « سخر لكم مافي السموات ومافي الارض جميعا » ـ انما سموه العالم الصغير سليل العالم الكبير ، لما وجدوه فيه من جمع أشكال مافي العالم الكبير . وجدوا له الحواس الخمس ، ووجدوا فيه المحسوسات الخمس ، وهو يأكل اللحم والحب ، ويجمع بين ما تقتات به البهيمة والسبع ، وفيه وثوب الاسد ، وغدر الذئب ، وروغان الثعلب ، والفة الكلب ، واهتداء الحمام . وهو يصور كل شيء بيده ، ويحكي كل صوت بفمه ، فجعلوه العالم الصغير ، اذ كان فيه جميع أجزائه واخلاطه وطبائعه . . الا ترى ان فيه طبائع الغضب والرضا ، وآلة اليقين والشك ، والاعتقاد والالحاد ، وما لايحصى عدده ، ولا يعرف حده . . . »

وهكذا يرى « الجاحظ » ان الانسان خلاصة العالم كله ، وصورته الجامعة ، فهو العالم الصغير ، وكانما عناه الشاعر العربي في قوله :

وليس على الله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد

دولاب الاسرار ...

من الذى لا يضيق صدره بالسر ؟ لقد تناول الفيلسوف « مسكويه » هذه المشكلة ـ مشكلة صون الاسرار ـ فحدثنا عن رجل كان يوصي صديقا له بقوله : « اذا كان لك سر تحب كتمانه ، وتكره اذاعته ، فلا تطلعني عليه ، ولا تجعلني موضعه ، ولاتمتحني بحفظه ، فاني أجد له في صدري وخزا كوخز الاسنة » !.

وكان هذا الرجل يقول : « اطلعت على سر لاحد الوزراء ، فجعل لي على كتمانه وطيه مالا والطافا ، وحملها الى على الفور ؛ فعزمت على الوفاء له ، وحدثت نفسي به ، ووطنتها عليه ، فبت بليلة من لدغته افعى ، واصبحت

كمن اثقله المرض . فلم أجد حيلة للخلاص من هذا الكرب الا أنى ذهبت الى ناحية من الدار خالية فيها دولاب خراب ، فنحيت من كان حولى ،ثم قلت : أيها الدولاب ، كان من الامر والقصة كذا وكذا ، وأنا والله أجد من الراحة ما يجده المثقل بالحمل اذا خفف عنه ، وكأننى فرغته من وعاء ضيق الى وعاء أوسع منه . على أن السر لم يلبث أن جثم على قلبى ثانية حتى ذاع من جهة غيرى » !

وهذه القصة تشبه قصة « الاعمش » الذى كان يدرس للناس الاحاديث النبوية ، وكان يضيق بهم ، فيحلف على أنه لا يحدثهم شهرا او شهرين أو أكثر او اقل ، فاذا فعل ذلك ضجر بصمته وعزلته ، وتاقت نفسه الى التحديث ، فيخلو الى شاة كانت له فى منزله ، فيحدثها . حتى كان بعض تلاميذه يقول : « ليت انى كنت شاة « الاعمش » ! ...

اختصار الكتب ...

يختلف الراى فى الكتب المؤلفة قديما حين يعاد نشرها ، هل تنشر برمتها او تختصر ؟ ومن المؤلفين القدماء من حذروا الناقلين لكتبهم أن ينقصوا منها . وهذا « ياقوت » صاحب « معجم البلدان » يقول فى القرن السابع الهجرى :

« لى على ناقل هذا الكتاب الا يضيع نصب نفسى له وتعبى ، وتبديد ما جمعت ، وتشتيت ما لفقت ، وتفريق ملتئم محاسنه ، فرب راغب عن كلمة غيره متهالك عليها ، وزاهد عن نكته غيره مشغوف بها ، فان اجبتنى فقد بررتنى ، وان خالفتنى فقد عققتنى . واعلم ان المختصر للكتاب كمن اقدم على خلق سوى فقطع اطرافه ، فتركه اشل اليدين ، مبتور الرجلين ، أصلم الاذنين ... وقد حكى عن « أبى عثمان » انه صنف كتابا وبوبه ابوابا ، فأخذه بعض اهل عصره فحذف منه اشياء ، وجعله اشلاء ، فأحضره وقال له : ياهذا ان المصنف كالمصور ، وانى قد صورت فى تصنيفى صورة كانت لها اذنان فصلمتهما صلم الله اذنيك ، وكان لها يدان فقطعتهما قطع الله يديك ... حتى عد اعضاء الصورة فاعتذر اليه الرجل بجهله هذا المقدار ، وتاب اليه عن المعاودة اليه » .

مآزق ...

كانت الفتن والاحداث خلال العصور الاسلامية توقع الناس فى مآزق ، وكثير منهم لم يتخلصوا من هذه المآزق الا بالفطنة والحيلة فى استخدام الكلام واتخاذ أساليب الكناية والتعريض .

ففى فتنة « عثمان » وما أعقبها من أحداث قال « معاوية »

« صعصعة » : اصعد المنبر فالعن عليا . فامتنع من ذلك ، وقال : اعفني ، فلم يعفه « معاوية » . فصعد المنبر وحمد الله واثنى عليه ، ثم قال : « معاشر الناس ، ان معاوية امرني أن العن عليا ، فالعنوه لعنه الله .. » فهو يرغب الى الناس أن يلعنوا معاوية الذى امر بلعن علي ، فتخلص من المأزق ، بل انتقم اشد انتقام .

وفي فتنة الخوارج كان رجل يسمى « شيطان الطاق » يسير ، فلقيه أحد الخوارج بيده سيف ، فقال له الخارجي : والله لاقتلنك او تبرأ من علي . فقال : « انا من علي ومن عثمان بريء ... » يريد انه من شيعة علي ، وأنه يبرأ من عثمان !

وفي فتنة خلق القرآن ، كان الخليفة يريد الفقهاء على أن يشهدوا بأن القرآن مخلوق ، ولا يعفى من القتل الا من شهد بذلك واقر ، وكان الفقهاء يدعون واحدا واحدا للشهادة ، فلما جاءت نوبة « الحارث بن مسكين » قال « الشهادة للتوراة والانجيل والزبور والقرآن ، هذه الاربعة مخلوقة .. » ومد أصابعه الاربع ، فنسب الخلق الى اصابعه ، وجعل ذلك تعريضا وكناية ، فاستخلص مهجته من القتل !

رقية كاذبة ...

فيما يسجله التاريخ من اقاصيص الناس شواهد على أن تأثير الايحاء كان معروفا بينهم ، وأنهم كانوا يستغلونه فيما يزاولون من شئون .

يقول التاريخ ان « عبد الله بن جعفر » دخل على « عبد الملك بن مروان » فألفاه مريضا يشكو ألما . فقال له : يا أمير المؤمنين اتاذن لي في شيء ينفعك ؟ قال : وما هو ؟ قال : ان ادعو لك رجلا مغنيا اسمه « بديح » فان عنده رقية لا تخيب . فقال : افعل . فقدما بالرجل ، وطلب اليه أن يرقي الخليفة ، فاستجاب ، وقرأ في سره ما قرأ ، ثم انصرف . وبات الخليفة ليلته هادئا قد خف عنه الالم . فلما أصبح قال : هاتوا « بديحا » المغنى ، فجاءوه به ، فقال له : اكتب لنا الرقية التي رقيتني بها الليلة ، لتكون عندنا . فجعل يتمنع بادىء بدء ، وأخيرا قال : اكتبوا عني . واذا هو ينشد ابياتا منها :

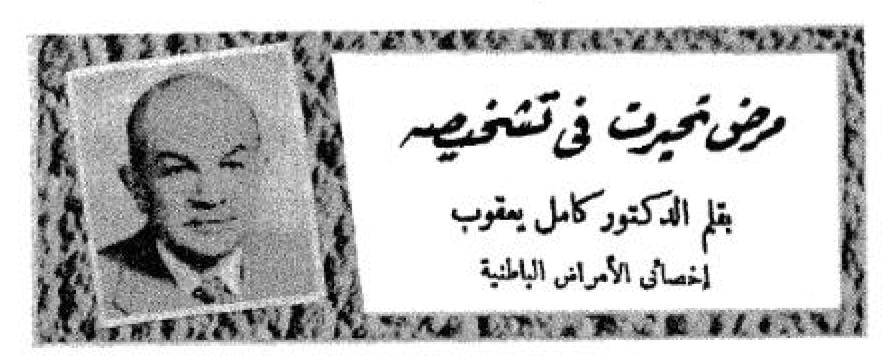
دعي مامضى واستقبلي العيش انني
رأيت لذيذ العيش مستقبل العمر

فقال الخليفة : اي شيء هذا ؟ فقال « بديح » : والله ما رقيتك يا أمير المؤمنين الا بهذا الشعر ! قال : ويحك ، استر علينا . قال : كيف استر حديثا أصبح الآن ملء الآذان ، وقد سارت به الركبان في كل مكان ؟ !

محمد شوقي امين

٣ قصص طريفة يرويها ثلاثة من كبار الاطباء

أغرب قصة مريض



كان المريض تاجرا معروفا من ذوى السيرة الحسنة والسمعة الطيبة . ورآه الطبيب ذات يوم وهو معتكف فى منزله وفى حالة يرثى لها من الالم والاضطراب . فكان يتثاءب حينا وتغرورق عيناه بالدموع حينا آخر ويكز على أسنانه من فرط الالم فيما بين ذلك . وسأله الطبيب عن تاريخ مرضه واعراض علته فاكد انه بخير وانه ليس فى حاجة الى طب ولا دواء . وكان الطبيب قد قرأ فى بعض الكتب ان المريض اذا ارهقته العلة وثقلت وطأتها عليه ثم سئل عن حاله وقال انه بخير كان ذلك فى بعض الحالات دليلا على خطورة دائه وضعف الامل فى شفائه . ومن ثم اخذ يفحصه فحصا دقيقا شاملا دون ان يجد فى جسمه اية علامة من تلك العلامات التى تدل على خطورة الحال أو سوء المآل . ثم اتجه أخيرا صوب زوجته وراح يسألها عن قصته . فقالت له ان زوجها كان ينعم طوال حياته بصحة طيبة ثم ظهرت عليه فى الشهور الاخيرة بوادر الهزال والاعتلال فكانت تعزو ذلك الى كثرة انهماكه فى عمله . ثم حدث ذات صباح منذ ثلاثة ايام ان تأخر فى النهوض من فراشه على خلاف عادته . ورأته وهو يفرك عينيه بيديه دون ان يستطيع فتحهما للضوء . ثم اخذ يتمطى ويتثاءب ويئن ويتوجع ويضغط بيديه على راسه تارة وعلى بطنه تارة اخرى. ولم يلبث ان انطلقت امعاؤه واصابه اسهال شديد فقضى الليل ساهرا دون ان يغمض له جفن. وزاره فى الصباح احد الاطباء فقرر انه مصاب بنزلة معوية وهبوط فى الدورة الدموية . ثم خفت مع الوقت اعراض الاسهال واشتدت معه اعراض القلق والضيق والاضطراب . فكان لايكاد يستقر فى فراشه الا

لينهض ولا يكاد ينهض الا ليعود الى الرقاد . وكان احيانا يدور فى غرفته كالمذهول ويدق الحائط برأسه كما لو كان قد الم به طارق من الجنون .
ثم استدعت الزوجة طبيبا آخر فقال ان حالته لا تبين وهى اما أن تكون نتيجة اضطراب عصبى أو نتيجة اختلال عقلى

وبعد أن فرغ الطبيب من الكشف على المريض والاستماع الى قصته اخذ يفكر ويقول لنفسه : ماهو كنه هذا المرض وما اسمه وما عسى ان يكون ؟ لست أدرى . ثم انه كتب للمريض دواء مهدئا للاعصاب وعقارا منشطا للدورة الدموية . وفى اليوم التالى ذهب الى عيادته كمالوف عادته.
وما ان استقر فى مقعده حتى دخل عليه مريض الامس وهو يسير فى هدوء واطمئنان شامل . ولم يكد يراه الطبيب حتى اتسعت حدقتاه من فرط الدهش . واراد أن يطلع على التذكرة الطبية التى أحدثت هذه المعجزة فقال يخاطب المريض : ارنى من فضلك تذكرة الدواء . وهنالك ظهرت على وجه المريض مسحة من الضيق وقال متأسيا : اية تذكرة وأى دواء يا سيدى ؟ لقد مزقت التذكرة الطبية تمزيقا وقطعتها اربا عقب خروجك من عندى ! ان احدا منكم معشر الاطباء لن يفطن الى معرفة دائى ولن يستطيع الوصول الى دوائى . وانما أنا وحدى الذى استطيع ذلك .
ثم اخذ المريض يبحث فى جيوبه حتى عثر على زجاجة صغيرة فناولها للطبيب وهو يقول له : هذا هو الدواء الوحيد الذى يستطيع أن يزيل اضطرابى ويعيد الهدوء الى اعصابى ! ولما فتح الطبيب الزجاجة وجد فى داخلها قطعا كروية الشكل لينة الملمس غبراء اللون ولم يكد يشم رائحتها حتى قال يخاطب المريض متعجبا : كيف كان يخطر ببالى مهما تشعبت الظنون أن مثلك يا صديقى يدمن على تعاطى الافيون ؟. قال : عفا الله عن زميلى فلان . وآتى ذات يوم والصداع يكاد يشق رأسى نصفين فأعطانى قطعة صغيرة من الافيون على سبيل العلاج . واغرانى مفعوله المسكن على الاستمرار فى تعاطيه ظنا منى انى أستطيع ان اتركه عندما اشاء .ولم البث ان اصبحت له أسيرا لا استطيع منه فكاكا . وسرعان ما ساءت صحتى واضطربت ماليتى بسببه . وقد حاولت فى الايام الاخيرة ان اتركه الى غير رجعة فكانت النتيجة تلك الاعراض الموجعة المروعة التى شاهدتها بنفسك . ولم أشأ ان اطلعك او اطلع زوجتى على حقيقة امرى خجلا من نفسى . وظللت اكافح الامس وحدى حتى اذا اشتد عذابى وكدت أفقد صوابى عدت الى تعاطى المخدر لكى انجو مما انا فيه من عذاب اليم .

وبعد ان فرغ المريض من سرد قصته ادرك الطبيب ان هذه الاعراض المخيفة المقلقة التى حار هو وزملاؤه فى معرفة اسبابها انما هى اعراض يعانيها المدمنون عندما يحاولون الاقلاع عن تعاطى الافيون ! ولو عرف الانسان ما سيكون عليه المآل بعد تعاطى هذه المخدرات القاتلة والسموم المهلكة لما اقبل عليها منذ البداية ، ولاعرض عنها كل الاعراض



الغيرة القاتلة

بقلم الدكتور محمد شوقى عبد المنعم
إخصائى الولادة وأمراض النساء

ـ اسعفنا . يادكتور . . بسرعة يادكتور البنت بتموت ، انها تحتضر ، البنت المسكينة خادمة الجيران ، ارجوك بسرعة

هكذا كان يستنجد بى صديق ويستغيث فى هلع وفزع شديدين ، ولازالت لهجته راسخة فى ذهنى على الرغم من مضى خمسة عشر عاما على ذكراها حين كنت اعمل اخصائيا فى امراض النساء بمستشفى منوف الاميرى

كانت لهجة استغاثته وحزنه لهجة صارخة لم تترك لى فرصة السؤال والاستفهام عن المرض ، فخرجت معه احمل حقائبى وحقن الاسعاف ظنا منى انها حالة اجهاض او ولادة متعسرة ، خرجت معه مهرولا لندخل احد البيوت الريفية القديمة ، ثم نصعد السلم قفزا لاجد فتاة لا يزيد عمرها عن سبعة عشر عاما ، ارقدتها سيدة المنزل فى سريرها وغطتها بملاءة لا يظهر منها الا راسها ، وعليه ضمادة نظيفة جديدة ملفوفة بطريقة غير فنية ـ ويبدو بين شفتى الفتاة بطريقة ظاهرة تلفت النظر فص من البرتقال وهى تاخذ انفاسها بصعوبة لان فمها وحلقها محشوان بفصوص البرتقال ـ ويبدو على الفتاة شحوب الموتى ، والهزال والضعف الشديد

ولم تترك لى سيدة المنزل اى فرصة للسؤال والكلام اذ جعلت تشرح لى حالتها وهى تلف وتدور فى الحجرة تشد شعرها مرة وتلطم خدها أخرى، وتندب الخادم واخلاصها وتكرر الرجاء طالبة اسعافها ، وانقاذها ، انقذها يادكتور اسعفها يادكتور ، البنت مسكينة ويتيمة تستحق كل العطف . . أنها تكاد تكون قريبتى : انا كنت اعزها . واحبها جدا . لاخلاصها وتفانيها فى العمل . . ان اخلاصها فى العمل هو السبب فى كل ما حصل . كانت تقف على سلم خشبى لتنظيف شباك فوقعت على الارض من ثلاثة اسابيع . وجرحت راسها جرحا خفيفا وقمت بتنظيفه وتضميده ـ كما ترى الآن . . واستمرت فى عملها بانتظام حتى الامس فاذا بها تصاب برعشة وارتفاع فى درجة الحرارة فارقدتها فى سريرى وجعلت اطعمها

بنفسي كما كنت اطعمها الآن فص برتقال . واذا بها تتوقف عن مضغه فجأة . وتذهب فى غيبوبتها

الى هنا ، والامر يجوز أن يكون طبيعيا : فتاة تقع من على السلم ، وتصاب فى راسها ، ويلتهب الجرح ، ويؤدى لالتهاب فى المخ ، وتذهب المريضة فى غيبوبة ، وفعلا خطر لى هذا الخاطر ، وطلبت منهم تحويلها للمستشفى لاسعافها ، وعلاجها وعمل كل ما يلزم لها ، ولكن ... نعم ولكن لماذا يختصونني أنا ، أخصائى امراض النساء ، بالاستغاثة وفى البلدة اكثر من جراح ، واكثر من طبيب باطنى ، بل ومستشفى غير حكومى آخر تشرف عليه بعثة دينية انجليزية (هرمل)

لعل فى الامر سرا تحاول اخفاءه ، فرفعت الغطاء عنها لاجد الجرح بسيطا جدا ، واجد الهزال الشديد يغلب عليها ، الهزال واضح لدرجة أن بدت عظامها ، والتصقت جدران بطنها بظهرها ، واذا بآثار تسلخات سطحية ، تشبه آثار اللسع ، بافخاذها ، وحول مواضع العفة فيها ، عللتها سيدتها بأنها كانت تتبول على نفسها أثناء نومها ، ولذا نصحها البعض بالكى حول هذا الموضع كعلاج بدائى مشهور لهذا المرض

ربما كان هذا تعليلا صحيحا ، اما أن الفتاة كانت تعمل ، وتأكل وتشرب طبيعيا حتى الامس ، وتكون فى هذه الحال من الضعف والهزال فلم أجد له تعليلا

ونقلت الفتاة للمستشفى ، حيث لم يفلح فيها العلاج وتوفيت عقب وصولها بقليل

وأبلغت البوليس ، وشرحها الطبيب الشرعى ليثبت أن المسكينة توفيت من اثر التعذيب بالكى والحرمان من الطعام والشراب ، ولم يجد اى اثر لاى غذاء اخذته المريضة بالفم ، من مدة طويلة

وقبض على السيدة

وهنا توالت اعترافات اطفال السيدة ، وزوجها اذ أن غيرة السيدة الحمقاء ، جعلتها تحبس الخادم وتعذبها وتحرمها من الطعام والشراب ، والزوج شاهد على ذلك ، لا يستطيع الاحتجاج ، أو اظهار العطف ، خوفا من ان تثبت عليه تهمة استلطاف الخادم ومعابثتها ، حتى اذا ما اشتد الحال ، وقاربت الفتاة الوفاة ، افضى لصديقه ان يطلبنى لاسعافها ، وانقاذها مع التستر عليه اعتمادا على صداقته لى ؛ ولكن ، كان هذا الطلب متأخرا ، ويا للاسف

وحولت السيدة لمحكمة الجنايات وأخذت جزاءها سجنا طويلا تكفر فيه عن جريمتها الوحشية

لا تخش الانفلونزا

بقلم الدكتور جورج وهبه العفى

بالرغم من الانتصارات الطبية الهائلة فى الميادين المختلفة فلا زالت هناك بعض الفيروسات التى لم يقهرها الطب ويصل الى القضاء عليها . ومن اهمها فيروس الانفلونزا الذى انتشر فى بلاد الشرق الاوسط اخيرا . وأخذ فى التنقل من قطر الى قطر ومن قارة الى أخرى بسرعة غريبة

وتكون الانفلونزا احيانا خفيفة الاعراض حميدة العاقبة وفى بعض السنين نراها شديدة الحيوية قاتلة ..

ان وباء الانفلونزا الذى اطلق عليه حينذاك «الحمى الاسبانيولية» فتك فى جزء من عامى ١٩١٨ و ١٩١٩ بأكثر من خمسة عشر مليونا من الانفس . فمات بالانفلونزا خلال بضعة أشهر اكثر من ضحايا الحرب العالمية الاولى التى دامت اربعة اعوام

واتخذ وباء الانفلونزا الذى ظهر فى خلال عامى ١٩٥٠ — ١٩٥١ شكلا وبائيا مخيفا وخاصة فى انجلترا فى منطقة ليفربول . وتتراوح مدة حضانة الفيروس من عدة ساعات الى يوم او يومين

ويظهر المرض احيانا بشكل فجائى على صورة صداع شديد فى الرأس ورعشة ، وشعور بضعف وانحطاط شديد . وفى اغلب الاوقات مصحوبا برشح وعطس . وتتخذ الحرارة رسما بيانيا بشبه ٧٠ . اى أن الحرارة تبدأ مرتفعة جدا ثم تهبط حوالى اليوم الثالث لتعود الى الارتفاع . والضعف والانحطاط فى القوى الذى يصحب المرض يستمر بعض الوقت بعد النقاهة .

ويستمر دور الانفلونزا عند المريض ما بين اربعة وخمسة أيام . وذلك اذا لم تحدث مضاعفات . كما يحصل احيانا مثل الالتهاب الرئوى والانسكاب البللورى الرئوى

وليست هذه المضاعفات كما نعلم مسببة عن فيروس الانفلونزا نفسه . بل انها تنتج عن الميكروبات الرئوية والسبحية والمعوية أحيانا . وهى تنتهز فرصة ضعف مقاومة الجسم وتتغلب عليه فتحدث المضاعفات

ويؤثر فيروس الانفـــلونزا تأثيرا سريعا معـــروفا فى كريات الدم الحمراء

▭

والانفلونزا من الامراض المعروفة منذ اقدم العصور . وان ظلوا فترة طويلة لايستطيعون التمييز بينها وبين غيرها من الاوبئة . حتى كان الوباء الذى حدث فى عام ١٣٨٣ وسجله التاريخ وفتك بعدد كبير جدا من أهل فلورنس فى ايطاليا . واعتقد الايطاليون حينذاك بأن سبب هـذا الوباء هـو البرد الشديد فأسموها Sull Influenzq Del Freddo

ومن هنا أخـذوا اسم الانفلونزا الذى بقى الاسم الطبى الرسمى لهذا المرض

وفى سنة ١٨٨٥ اعتقد العـالم بفيفر Pfeiler انه نجح فى عزل ميكروب الانفلونزا وسماه«هيمو فيلوس انفلونزا» . ولكن اكتشف العلماء سـنة ١٩١٨ بأنه لم يكن الميكروب الذى ينسبون اليـه الانفلونزا . انما يلعب هذا الميكروب دورا هاما لاشك فيه فى انتشار الفيروس وحيويته أو ضعفه . ففى سنة ١٩٣٣ وفى لندن استطاع ثلاثة من العلماء من معهد البحوث الطبية الوطنى وهم اندروز وسـميث وليدلوف العثـور على الفيروس الناقل للعدوى الى الفيران وحيوانات التجربة الاخرى

ثم نجح العالم الاسترالى «بيرنت» فى نقل الفيروس الى الفيران السليمة . ليس ذلك فقط . بل كان أول عالم يزرع الفيـروس فى بيض الدجاج المخصب . وبذلك وضع أسس طريقة جديدة رائعة لزرع الفيروس فى البيضة لمدة عشرة أيام وتتلخص الطريقة فى انتزاع جزء من القشرة الخارجية للبيضة التى تغطى الغرفة الهوائية ، ثم يحقن سـائل ملوث بالفيروس داخل السـائل المشيمى الموجود به الجنين . وعندمايسحب هذا السائل بعد انتهاء مدة زرعه يستعمل فى التطعيم به لاضعـاف شوكة المرض . وبفضل مثـابرة العلماء وجهادهم الذى لايعرف طريقا لليأس ، وذلك بانتهاز كل فرصـة يظهر فيها وباء الانفلونزا فيعملون على زراعة عينات منها ودراستها . ومعـرفة فصيلتهـا ، ادركوا أن الانسان السليم اذا طعم بمصـل الفيروس للوباء الموجـود فى وقت بعينه لايصاب به

واعتقد العلماء أنهم بلغوا انتصارا حاسما نهائيا على وباء الانفلونزا . ثم حدث فى عام ١٩٤٠ ما لم يكن فى الحسبان اذ عثر معملان امريكيان للابحاث البكتريولوجية على فصيلة جـديدة من فيروس الانفلونزا لم يعرفوها من قبل . فاذا أصيب بها مريض جرى تطعيمه بواسطة لقاحات الفيروسات الاخرى المعروفة من قبل لم يمنعه ذلك من الاصابة بانفلونزا الفصيلة الجديدة . وبذلك نالوا بنوعين من الفيروسات (أ) و (ب) وأتيح للعلمـاء رؤيتها بواسـطة الميكروسـكوب الالكترونى فرأوا

انهـا جسيمات دائرية صـغيرة . وبقياسها وجدوا ان (ا) و(ب) هى بالتوالى ٨٠و١٠٠ جزء من المليون من المليمتر . وعنـدما تصل أنباء احد الاوبئـة الى علماء الابحـاث يقومون بفحصها لمعرفة فصيلتها . وحاولوا معرفة الفصيلة التى كان ينتمى اليها فيروس وباء الانفلونزا المسمى بحمى الاسبانيولية فى عام ١٩١٨ والذى سبق ذكره . واجروا مختلف التجارب حتى أن حملات من العلمـاء المزودين بالاجهزة الدقيقة سافرت الى بلاد الاسكيمو املا فى انهم ربما وجدوا فى جثث ضـحايا الحمى الاسبانيولية المدفونة منـذ نحـو اربعين عاما ولا زالت تحت طبقات كثيفة من الثلوج . ترى هل احتفظت الفيروسات تحت الجليـد وفى مثل هذه الحرارة المنخفضـة ببعض حيويتها .. ولكنهم فشلوا ولم يعثروا على فيروسات واصبح من المقطوع به انهم لن يعرفوا تلك الفصيلة التى كان ينتمى اليهافيروس الحمى الاسبانيولية كما كانوا يسمون الانفلونزا .. الى الابد

واصبح معروفا الآن من فصائل فيروسات الانفلونزا (ا) و(ا) و(ب) و(ج) وعثروا على الفصيلة (ج) فى سـنة ١٩٥٠ . ويحتمل وجود فصـائل اخرى لم تعرف حتى الآن

▭

ويحارب العلماء فى دول الارض وبجميع الطـرق ومختلف الوسائل وباء الانفلونزا وهو من أهم مايشغل بال مؤسسة الصحة العالمية . وعقد أول مؤتمر للعلمـاء المختصـين بالانفلونزا فى سـبتمبر ١٩٥٢ . وانشأوا معهدا خاصا به فى لندن تحت اشراف العالم الكبير الدكتور اندروز وهـو يشرف على ثلاثة وخمسين معملا للبحوث موزعة فى اربعين دولة من بينها مصر . تبحث وتدرس وتجمـع المعلومات عن فصائل الفيروسات التى يتـاح لها بحثها فى اثناء الاوبئة . لقد عبئت جهود هائلة فى انحاء العالم كله من اجل وباء الانفلونزا وحده

ولا يخشى الاطباء اليوم كثـيرا خطر المضاعفات الرئوية بفضـل ماتعرفه من مركبات السلفا والبنسلين والستربتومايسين والاكرومايسـين والترامييسين ..

ويوجد لدينا كذلك بعض العقاقير للوقاية والتحصين فيؤخذ مصـل من المرضى الناقهين وهو مايشير به كثير من الاطباء وعلماء الصحة لانهم وجدوا بعـد تجارب طويلة ان له فائدة كبيرة لوقاية الاطفال واحيانا الـكبار فى بداية المرض . وتوجد طعوم مركبة اى أنها مكونة من طعوم مجموعة الفيروسات المختلفة المعروفة وليس من السهل تعميم هذه الطعوم لسببين : أولهما أن ذلك يحتاج لوقت طويل يقرب من الشهر ، والثانى اننا نحتاج الى بيضتين للحصول على الطعم الواقى لشخص واحد . اذن فاننا نحتاج الى عشرات الملايين من البيض للحصول على الطعم الواقى لامة من الامم



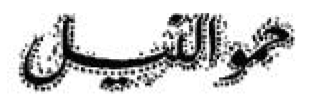
يحارب الانفلونزا
ريفو
يزيل الآلام
بسرعة وأمان
ارتفاع الحرارة والانفلونزا



البرد والزكام
الصداع
آلام الأسنان
الروماتزم



ريفو
RIVO
يخفف
يلطف
يهدئ
لا يضر القلب
ولا المعدة
التهاب اللوز
يؤخذ ٢ قرص في نصف
كوب ماء ويستعمل
غرغرة، ويكرر ذلك بعد
٣ ساعات عند اللزوم



هذا هو علاجه

بقلم الدكتور محمد الظواهرى

أستاذ الأمراض الجلدية المساعد بكلية طب قصر العينى

« حمو النيل » هو احد الامراض الجلدية التى تصيب سكان المناطق الحارة فى فصل الصيف حيث يشتد الحر ويغزر العرق

وقد يصيب الاشخاص الذين يفرزون العرق بغزارة ومن تعرضهم طبيعة عملهم او طبيعة جو بلادهم صيفا لمثل تلك العوامل وخاصة الاطفال والبدنيين ومرضى البول السكرى

ويصيب « حمو النيل » الاجزاء المغطاة من جسم الانسان ولو انه قد يظهر على اى جزء من الجسم يتعرض للعرق الغزير

ويصاحب ظهور المرض حكة جلدية وظهور طفح جلدى حاد ملتهب ومحمر وهو عبارة عن حويصلات دقيقة صغيرة الحجم وحبيبات متقاربة ولكنها تظل منفصلة عن بعضها البعض

والحكة التى تصاحب حمو النيل قد تكون شديدة وقد تقلق بال المريض وتقض مضجعه ، وقد تظهر بعض الدمامل العرقية التى قد يسبقها او يصحبها ظهور حمو « النيل »

وقد لوحظ فى السنوات الاخيرة وخاصة فى المناطق الشديدة الحرارة وعندما يتطلب العمل التعرض للحر والشمس فى المناطق الحارة والاستوائية لمدد طويلة ان يعقب حمو النيل المتكرر جفاف بالجلد وذلك نتيجة للتليف الذى يحدث فى الغدد العرقية وقنواتها التى تنسد وتتوقف عن الافراز واذا زادت هذه الحالة يجف الجلد نتيجة لتوقف الغدد العرقية المصابة عن الافـراز .

هذا وعلاج حمو النيل يتوقف على تلافى الاسباب التى قد تؤدى الى ظهوره فينبغى البعد عن الاماكن المغلقة ، والمكتظة بالناس وشديدة الحرارة فعوامل التهوية والتبريد تفيد فى تلطيف حرارة تلك الاماكن .

ويستعمل لعلاج المرض عند ظهوره مواد ملطفة ومرطبة ومطهرات خفيفة للخارج ويحسن استعمال غسول الكلامينا المضاف اليه واحد فى المائة من الكبريت او الاكتيول او غسول السليمانى بنسبة واحد الى خمسة آلاف او غسول خلات الالومنيوم او مساحيق خارجية تحتوى على البوريك والزنك والتلك وما اشبهها



الزيت يساهم في الانتعاش
شحنات من البصل المصري والمنتجات المصرية الاخرى عند نقلها الى باخرة راسية في ميناء بورسعيد توطئة لشحنها الى مقر شركة الزيت العربية الامريكية (ارامكو) في الظهران بالمملكة العربية السعودية
وفي خلال عام ١٩٥٦ بلغت جملة ما دفعته شركة ارامكو وشركة ارامكو فيما وراء البحار لقاء مشترياتهما من السلع المختلفة من بلدان الشرق الاوسط ولقاء نفقات الشحن ، ما يزيد على اربعة ملايين دولار ، وذلك رغبة في تشجيع الاسواق المحلية وشراء السلع المختلفة من بلدان المنطقة نفسها كلما كان ذلك ممكنا ومساهمة في تحقيق الانعاش
أرامكو
شركة الزيت العربية الامريكية
الظهران . المملكة العربية السعودية



مرشد القلب

اذاعت ادارة المحاربين القدماء في امريكا نبأ اكتشاف آلة صغيرة سهلة الحمل تراقب بدقة حركات القلب وهذه الآلة التى اطلق عليها اسم « مرشد القلب » تدل الاطباء على مدى ما يؤديه القلب من العمل حتى عند المرضى الذين يعانون من صدمة قلبية شديدة . وهذا المرشد الذى تقوم بتشغيله الاقطاب الكهربية في جهاز الالكتروكارديوجراف المعتاد المثبت في معصمى المريض يخبر الاطباء اثناء القيام بالعمليات الجراحية من ان القلب لا يؤدى عمله بصورة مرضية ، وان اجراء عاجلا يجب ان يتخذ

للوقاية من الالتهابات الدماغية

اذيع نبأ اكتشاف مصل يحمى الانسان من عدة انواع من الالتهابات الدماغية التى قد تؤدى الى الموت

ويقول مكتشف هذا المصل الدكتور ونستون برايس انه مكون من سلالتين من فيروس « وست نايل » وهو كائن عضوى يسبب ظهور مرض غير خطير في مصر والبلاد المجاورة لها

ويقول الدكتور برايس ان هذه اول مرة يكتشف فيها مصل منفرد يحمى الانسان من عدة انواع من الفيروس التى تنشأ عنها الالتهابات الدماغية ، وهى عدوى مخيفة تسبب احيانا مرض النوم والشلل

وقال العالم كوبكنز انه بالرغم من أن المصل الجديد لا يزال في المرحلة التجريبية ، الا انه سيكون ذا اثر كبير في صحة سكان آسيا وافريقيا ومنطقة البحر الابيض المتوسط وامريكا الجنوبية حيث يشيع ظهور الالتهابات الدماغية

وبالاضافة الى ان هذا المصل يقى من عدة انواع من التهابات الدماغ فانه كذلك يمنع حمى الدنج التى تستطيع ان تغزو مجموعة من الناس وتتركهم فريسة للحمى والفتور

ويقول الدكتور برايس ، انه وان كان هذا المصل سوف يؤدى عمله الا انه يوصى بمواصلة البحث عن سلالة أفضل من فيروس وست نايل قبل استخدام المصل على نطاق عالمي واسع

اعادة الحياة

ان جماعة من العلماء الاوكرانيين وفى مقدمتهم البروفسور فسغولور بانكوفسكى يعملون على حل مشكلة من اهم مشاكل العالم واخطرها ؛ الا وهى أعادة الحياة الى الكائنات الحية التى تصاب بحالة الموت الطبى

وقد قال البروفسور بانكوفسكى فى صدد هذا الموضوع : « اننا نستخدم فى تجاربنا قلوبا ورئات صناعية قد صممها العالم السوفييتى بريخونتكو . والى وقت قريب كان الظن سائدا بأن بعث الحياة فى الكائن الحى ممكن فقط فى حالة مرور ما بين اربع دقائق وست دقائق على الموت . وقد برهنا على ان هذه الفترة ليست الحد الاقصى ، فقد استطاع بعض موظفى هذا المعهد ان يبعثوا الحياة فى حيوان بعد مرور خمس عشرة دقيقة على الموت الطبى ، وذلك بالاستعانة بدورة دموية صناعية . وقد دلت تجاربنا على ان جميع وظائف المخ للحيوان قد اعيدت كاملة . ومنذ أمد قصير ، طبق المعهد وسيلة التبريد التمهيدى للكائن الحى الذى يراد بعث الحياة فيه ، كما نجح فى اعادة الحياة الى بعض الكلاب ، بعد مضى ما بين ٣٥ ، ٤٠ دقيقة من توقف الدورة الدموية »

الخلية المنجلية

وجدت الخلية المنجلية التى تسبب نوعا خاصا من الانيميا (فقر الدم) لاول مرة فى اندونيسيا

وقد كتب الدكتور ليوانجو لوان انج الاستاذ بجامعة اندونيسيا بجاكارتا فى مجلة « نيتشر » عن عثوره على شخصين يحملان هذا الهيموجلبين غير الطبيعى

وقد عثر الدكتور لوان انج على هاتين الحالتين اثناء فحصه عينات من دماء ٤٠٠٠ شخص من مختلف الجزر الاندونيسية ، وكانت واحدة من الحالتين لشخص ولد فى غرب جزيرة جاوة من دم خليط من الدماء الصينية والاندونيسية ، فقد كانت امه اندونيسية من غرب جاوه . وبقدر ما عرف من تاريخ عائلة هذا الشخص لم يحدث اختلاط فى الدم مع اجناس اخرى قبل ذلك

اما الحالة الثانية فقد كان صاحبها جندى اندونيسى من جزيرة سومطرة وهو بقدر ما يعرف اندونيسى نقى

وفى العادة لا توجد هذه « المورثة (جين) المنجلية » الا بين الزنوج الذين نشأوا فى الاصل فى افريقا . وقد وجدت فعلا بين اليونانيين والايطاليين والعرب ، ولكنها وجدت فى تلك الحالات التى ثبت فيها اختلاط بالدم الافريقى فى الازمان القديمة

ولا يستطيع الدكتور لوان انج ان يجد تعليلا لهاتين الحالتين الا ان بعض السلف لهذين الشخصين قد اختلط دماؤهم بدم زنجى افريقى وان كان هذا يبدو غير محتمل الحدوث

وهناك احتمال آخر وهو ان هذه « المورثة المنجلية » ليست نادرة فى

اندونيسيا

ويقول بعض العلماء بأحوال البشر ان سكان اندونيسيا القدماء كانوا من جنس يسمى «نيجريتو» وهم فرع من فروع زنوج إفريقيا . والمعتقد كذلك ان فى بعض انحاء الجزر الاندونيسية لا يزال يوجد بها بعض آثار من السلف القديم «النيجريتو»

ويصاحب وجود الخلية المنجلية مقاومة لحمى الملاريا ، وعلى ذلك فان الاشخاص الذين لا يصابون بالملاريا والمقيمين بمناطق تكثر فيها الملاريا وتشتد يكونون فى اغلب الاحيان حاملين « لمورثة الخلية المنجلية »

علاج جديد للسرطان

أعلن الدكتور ج.ر. هيللر مدير مؤسسة السرطان القومية نبأ تسجيل نجاح مبدئى فى علاج نوع خبيث جدا من السرطان بعقار يدعى « ميتودريكسات Methodrexate »

وقد قال الدكتور هيللر أن استجابة نوع نادر من السرطان للعلاج بهذا العقار قد اثارت اهتمام العلماء الشديد . ثم قال ان هذا العقار قد يكون المفتاح الذى يؤدى الى علاج انواع اخرى من السرطان اكثر شيوعا

والى جانب هذا العقار فقد وصف « التيوتا » وهو احد المشتقات الجديدة للخردل فى اجتماع للجمعية الامريكية لعلماء الامراض وطبائعها وعلماء البكتريولوجيا بانه أقوى العقاقير العامة التى اكتشفت حتى الآن تأثيرا فى علاج أنواع معينة من السرطان والليوكيميا . ولقد استخدم هذا العقار الذى يمت بالصلة الى غاز الخردل بنجاح فى عرقلة نمو سرطان الرئة والمعدة والكبد والفم والبنكرياس . على ان رجال الابحاث العلمية الذين قاموا بتجاربهم على هذا العقار قالوا انه ليس علاجا شافيا لمرض السرطان ولكنه يبشر بالخير بوصفه وسيلة لتأخير نمو السرطان

الادوية العجيبة لمرض السل

كان من نتيجة استخدام ما اطلق عليه اسم « الادوية العجيبة لمرض السل » أن انخفض عدد المصابين بالسل فى المستشفيات العسكرية خلال السنوات الثلاث الماضية

ويقول الدكتور تاكار ان النقص فى الحاجة الى الالتجاء للمستشفيات بين الجنود ترجع الى الوقوف على امثل الطرق لاستخدام الستربتومايسين وباس وايزونيازيد وقد استخدمت هذه الادوية استخداما عاما كنتيجة لبرنامج العلاج الكيميائى الخاص بتجربة أدوية مرض السل

وقد بدأ هذا البرنامج عام ١٩٤٦ بالتعاون مع القوات المسلحة وقد انخفض عدد مرضى السل من ١٥ر٦٧٥ مريضا الى ١٢ر٥٢٨ مريضا من يناير عام ١٩٥٤ الى ديسمبر عام ١٩٥٦

غير ان عدد مرضى السل من المنتظر ان يصل الى رقم ثابت خلال العام أو العامين القادمين كلما قلت نسبة الانخفاض



يشترك فى الرد على هذه الاستشارات حضرات الأطباء الآتية أسماؤهم ، مرتبة بحسب الحروف الأبجدية :

الدكتور ابراهيم فهيم
» أنور المفتى
» صلاح الدين عبد النبى
» عبد الحميد مرتجى
» عز الدين السباعى
الدكتورة عظيمة السعيد
الدكتور فخر الدين عبد الجواد
» كامل يعقوب
» محمد الفلواهرى
» محمد خطاب
» محمد شوقى عبد المنعم
» محمد فريد على رعية
» محمد مختار عبد اللطيف
» مصطفى الديوانى
» محمود حسنين
» نجيب رياض
» يحيى طاهر

النمش

بوجهى مرض جلدى هو « النمش » وقد شوه منظر وجهى ورقبتى من الخلف ، دون سائر جسمى ، هذا مع العلم انه يزداد وضوحا فى فصل الربيع ويختفى قليلا فى فصل الصيف . واعصابى وافكارى مضطربة من هذه الحالة ، فارجو افادتى عن العلاج اللازم لهذا المرض

ا.ن.س.ن – حلب – سورية

— يظهر النمش بالبشرة نتيجة لحساسية شديدة لضوء الشمس ، وما دام كثيراً الى هذا الحد الذى تصفه فيلزم عرض نفسك على اخصائى ومن بين أنواع العلاج التى تفيد فى كثير من الحالات استعمال مس مكون من :

حامض السليسليك ٤
كلورور الزئبق ١ر٠
كحول ١٠٠

يوضع المس على كل بقعة ، فيسبب التهاباً موضعياً يصحبه تقشر فى البشرة وبذلك يزول اللون تدريجياً . ويجب الاقلال من التعرض للشمس ما أمكن ، أو الدهان بكريم يحجب الأشعة الضوئية

الشيب الباكر

انا فتاة فى الحادية والعشرين من عمرى ، لاحظت منذ ثلاث سنوات ظهور قليل من

الشيب فى رأسى ، فعزوت ذلك الى الانهماك فى الدراسة ، ولكن بعد ان انتهيت من دراستى اخلفت الشعر (يحرقان) فى منتصف الراس مع ظهور الشيب بكثرة فى ذلك المكان . كذلك اشكو قلة واضحة فى شعر الراس ، فبماذا تنصحون ؟
الآنسة ع . ج . ن – دمشق – سورية

— الشيب من العوارض التى لم يتوصل الطب الى معرفة كنهها بالتحديد والتأكد ، إلا أن المشاهد أن الصدمات العصبية أو الضعف العام مما يزيد الشيب أو يعجل به ، لذلك انصح بعرض نفسك على إخصائى وأخذ فيتامين ب « المركب » ومنه أصناف كثيرة ومن السهل الحصول عليه

زيادة الوزن

بماذا تنصحون ليكون وزنى مائة كيلوجرام علماً بانى ابلغ التاسعة عشرة من عمرى وطولى ١٨٠ س . م . ووزنى ٨٠ ك . ج . وازاول بعض التمارين الرياضية
احمد حسن – بغداد – العراق

— نحن لا ننصح لك بأن تزيد وزنك الى مائة كيلو جرام كما تطلب لأن ذلك معناه اصابتك بالسمنة المفرطة ، وما يترتب عليها من التعرض لشتى الأمراض مثل البول السكرى وتضخم القلب وارتفاع الضغط وما الى ذلك

أثر جراحة

انا فتاة عمرى ١٦ سنة وفى مقتبل العمر، فيرانى مصدومة ، فمنذ طفولتى ظهرلى تحت عنقى خراج فعالجنى الطبيب بعملية جراحية تركت ورائها اثراً طوله ٥ سم ، داكن اللون وقد شوه منظرى ، فهل من دواء يزيل هذه البقعة ؟
م . ٥ . الطرية – دقهلية – مصر

— مثل هذه الآثار يمكن أن تزال بالعلاج بأشعة اكس وهى موجودة فى معظم مستشفيات الحكومة الكبيرة ، ويساعد على ذلك أيضاً تحسن عام فى الصحة بأخذ الفيتامينات وغيرها

سقوط الشعر

انا طالب بكلية الفنون عمرى ٢١ سنة ، ارى أن شعرى سيزول قريبا أو بعيدا لان الصلع وراثى فى عائلتنا من الذكور ، وجبهتى عريضة ناحلة قليلا من الجانبين ، وشعرى خفيف . فهل من علاج البعه الآن ؟
س.س. – القاهرة
م.ع. – الفيوم – مصر

— ننصح لكما باستعمال مركب من :

حامض السليسليك ٣
كلورور الزئبق ١ر٠
زيت خروع ١٠
كحول ١٠٠

وهناك مركبات تشبه هذا التركيب ومن السهل الحصول عليها من الصيدليات

كذلك يجب استعمال خميرة البيرة أو فيتامين ب المركب

آلام الحيض

انا آنسة تأتينى العادة الشهرية بالم شديد ولا اعرف لذلك سببا مع العلم بأنها فى اول الامر كانت غزيرة وقد قلت منذ شهرين . رجائى الافادة عن علاج هذه الحالة
و.ج (بدون عنوان)

— تجنبى الامساك واضطرابات المضم أيام العادة ، وضعى قربة ساخنة فوق أسفل البطن أثناء الآلام ، مع تناول بعض الأقراص المسكنة مثل اسكو (Asco) قرص أو اثنين أو ثلاثة أقراص حسب الحالة

لغط القلب

لقد قرر جميع الاطباء باننى مريضة بلغط القلب ، وهذا من تاثير مرض الروماتزم .

لهذا أرجو تحديد الأطعمة والأغذية الواجب اتباعها للمحافظة على برنامج العلاج

ع.م.س.أ. — القاهرة

— ان تنظيم الغذاء في حالات أمراض القلب له أهمية كبري ، ويجب أن يكون الغذاء مغذياً وأن يكون سهل الهضم في نفس الوقت. ومن واجب المريض أن يتحاشى التخمة والاكثار من الأكل في الوجبة الواحدة ، والاكثار من المواد الدهنية والنشوية ، قد يسبب عسراً في الهضم وسرعة في النبض ، كما يجب تحاشي الاكثار من السوائل وملح الطعام والمواد الحريفة والشاي والقهوة والتدخين

ضعف السمع

اصبت منذ ١٨ شهرا بضعف السمع مع وجود طنين شديد مستمر وصداع دائم . وقبل ذلك بشهرين حدث ان اصطدمت السيارة التي كنت اركبها صدمة قوية من الخلف قد تكون سببا لهذه الحالة . وقد راجعت اطباء في لبنان واوربا فقال الجميع انه ليس بي مرض يمكن علاجه . ارجو ارشادى ولكم الشكر

ع.ع. — بغداد — العراق

— ان أسباب ضعف السمع مع الطنين كثيرة متعددة ، فاذا كانت ناشئة عن تصلب عظمة الركاب فيمكن الشفاء بواسطة عملية جراحية . أما إذا كانت ناشئة عن ضعف بالعصب السمعي فلا دواء لها ولا علاج

آثار الجروح

عندما اجرح اى جرح ولو كان بسيطا في اى مكان من جسمي ، فانه بعد أن يشفى الجرح تماما يستمر وجود اثره لشهر او لشهرين بل لسنين طويلة دون أن يزول هذا الاثر . وقد تشوه جسمي من هذه الحالة السيئة فارجو الافادة عن العلاج ولكم الشكر

ا.ب.ج. — بني سويف — مصر

— يستحسن استعمال أقراص فيتامين ج ومن السهل الحصول عليه . كما يمكن استعمال كريم مركب من ماء الأوكسجين واللانولين بنسبة ١ : ٣

ردود خاصة

شاب يائس (بغير عنوان)

لا داعي لليأس فان هذه الحالة تنشأ من اضطراب في افراز الغدد الصماء ، وننصح لك بعرض نفسك على طبيب اخصائي في الغدد ليقرر لك العلاج اللازم وينصحك بما يجب عليك اتباعه

ح . ح . م . ب — بنغازى — ليبيا

نرجو تعاطي حقن سترانديل روسيل ٢٥ ملليجرام حقنة في العضل كل ثلاثة أيام ولمدة ثلاثة أشهر

Ampoule Sterandryl Roussel 25 Mg

ع . اسماعيل — كركوك — العراق

هذا مرض البهاق ، نرجو تعاطي حقن فيتامين ب ١ ١٠٠ ملليجرام ، حقنة واحدة في العضل يوم بعد يوم مع مس المناطق البيضاء بواسطة ١٠ ٪ زيت البرجاموت في كحول مرة كل يوم وتعرض للشمس نصف ساعة . ويوقف المس عند حدوث اى التهاب

م . ح . م — المنصورة — مصر

نرجو تعاطي حقن تستوكورتيجين Testo cortigene بمقدار حقنة في العضل كل ثلاثة أيام ، وتعاطي شراب فيتافوس مصر Vita Phos Elixir Misr بمقدار نصف ملعقة شوربة ثلاث مرات يوميا ويستمر العلاج ثلاثة أشهر

ع . د ــ البصرة ــ العراق

وصفك غير واضح ، وانصحك بعرض نفسك على طبيب ، وعلى كل فلا ضرر من ذلك ابدا الان ، والامر لا يحتاج لعلاج خاص، ولا انصحك باستئصال اى جزء من الاعضاء الحساسة الا بعد العرض على طبيب نسائى

ر . حسن ــ بغداد ــ العراق

اذا كانت اللوزتين فى حالة التهاب متكرر فيجب استئصالهما . وكذلك يجب فحص جيوب الهواء الانفية بمعنى انه يجب منع حدوث التهابات حول قناة استاكيوس ، وسوف يتحسن السمع ان شاء الله

م.ى.س ــ التوفيقية ــ بحيرة ــ مصر

ما دام الوشم صغير الحجم فان اى جراح يستطيع ازالته ، وسيكون الاثر اخف كثيرا من الوشم. اما عن سؤالك عن مادة كيميائية تتفاعل مع مادة الوشم فلا توجد هذه المادة ، والمادة المستعملة فى الوشم تكون عادة داخل خلايا بالبشرة العميقة ولا يمكن الوصول اليها

س.س. ــ الكويت

هذه عادة شاذة ، ولكن لا ضرر بالمرة من ابتلاع المادة لانها مادة زلالية كأى مادة اخرى ، انما المهم محاولة تغيير هذه العادة القبيحة

د.ع.س.ك (بغير عنوان)

اعرض نفسك على اخصائى ، فما دمت قد تناولت حقن البنسلين ولم تشف فان ذلك دليل على ازمان المرض او وجود التهاب آخر ثانوى بالداخل

ف.ف.ف. ــ غزة

افضل علاج لحالتك هو ان تبتعد عن الناحية الجنسية ما امكن مع الاعتناء بصحتك بوجه عام

آنسة ك.د. ــ ميت غمر ــ مصر

ان الطب لايمكنه أن يتدخل فى شكل الجسم الناشىء عن الخلقة والوراثة

ح. ــ لبنان

ممكن عمل جراحة تجميل للانف ، ولكنها ستكلفك كثيرا من الوقت والمال